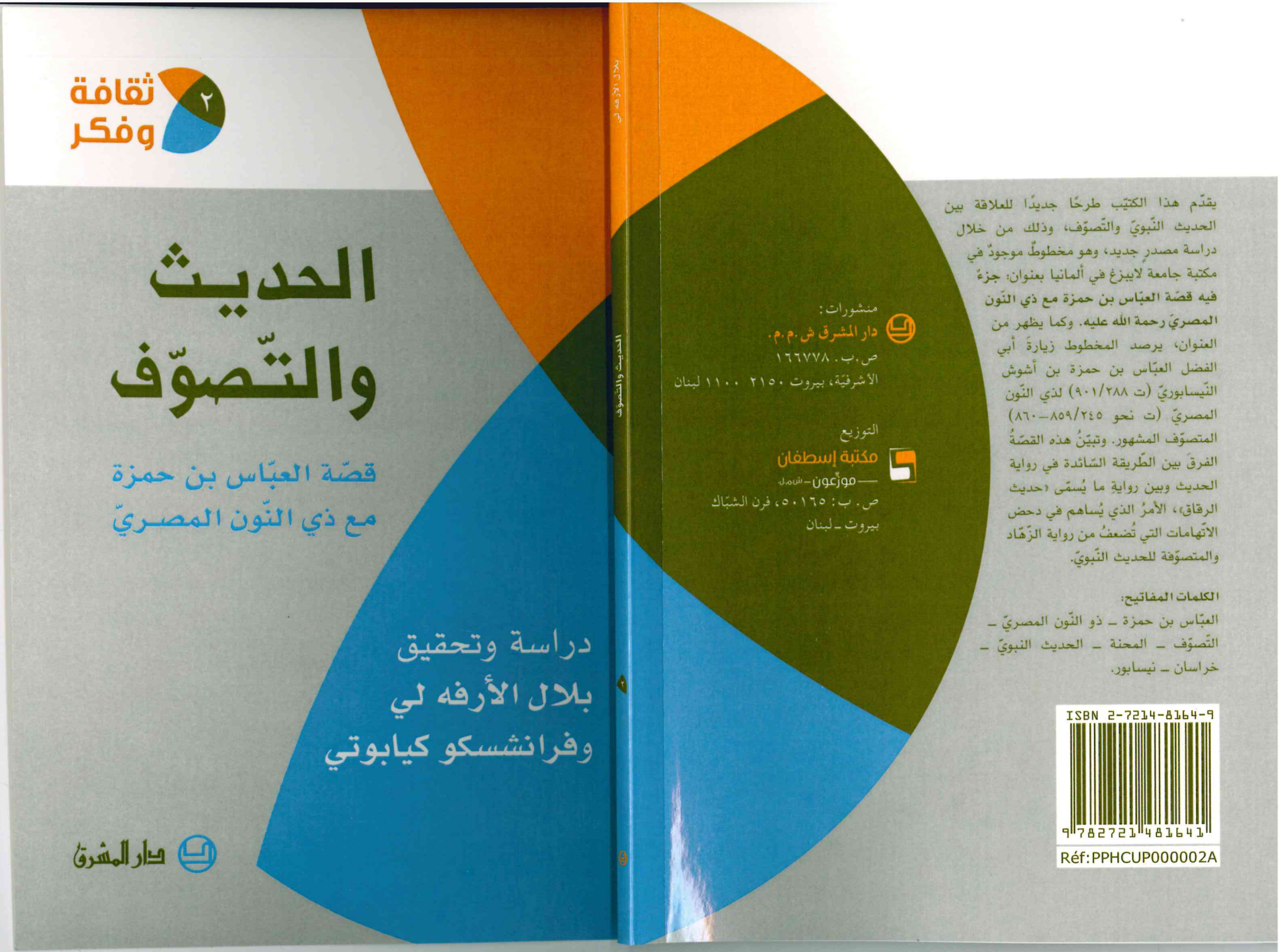
ثقافة وفكر
٢
الحديث والتّصوّف
قصّة العبّاس بن حمزة
مع ذي النّون المصريّ
دراسة وتحقيق
بلال الأرفه لي
وفرانشسكو كيابوتي
دار المشرق
بلال الأرفه لي
الحديث والتصوف
٢
منشورات:
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفيّة، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
التوزيع
مكتبة إسطفان
مورّعون - ش.م.ل.
ص. ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت ـ لبنان
يقدّم هذا الكتيّب طرحًا جديدًا للعلاقة بين الحديث النّبويّ والتّصوّف، وذلك من خلال دراسة مصدرٍ جديد، وهو مخطوطٌ موجودٌ في مكتبة جامعة لايبزغ في ألمانيا بعنوان: جزءٌ فيه قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ رحمة الله عليه. وكما يظهر من العنوان، يرصد المخطوط زيارةَ أبي الفضل العبّاس بن حمزة بن أشوش النّيسابوريّ (ت ٢٨٨/٩٠١) لذي النّون المصريّ (ت نحو ٢٤٥/٨٥٩–٨٦٠) المتصوّف المشهور. وتبيّنُ هذه القصّةُ الفرقَ بين الطّريقة السّائدة في رواية الحديث وبين روايةِ ما يُسمّى «حديث الرقاق»، الأمرُ الذي يُساهم في دحض الاتّهامات التي تُضعفُ من رواية الزّهّاد والمتصوّفة للحديث النّبويّ.
الكلمات المفاتيح:
العبّاس بن حمزة ـ ذو النّون المصريّ ـ التّصوّف ـ المحنة ـ الحديث النبويّ ـ خراسان ـ نيسابور.
ISBN 2-7214-8164-9
9 782721 481641
Réf:PPHCUP000002A

الحديث والتّصوّف

قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ

دراسة وتحقيق
بلال الأرفه لي
وفرانشسكو كيابوتي

دار المشرق

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٨

دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-8164-9

التوزيع: مكتبة إسطفان
موزّعون-ش.م.ل.
ص.ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت - لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣ (٠١)
فاكس: ٢٨٩٣٣٣ (٠١)
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

شكر

هذا الكتيّب مقتبس عن مقالة نُشرت بالإنكليزيّة في **مجلّة الدّراسات العبّاسيّة** بعنوان: An Encounter of al-ʿAbbās b. Ḥamza (d. 288/901) with Dhū l-Nūn al-Miṣrī (d. ca. 245/859-60): An Edition and a Study of MS. Vollers 875d. نودّ أن نشكر دار النّشر العريقة بريل لموافقتها على إعادة نشر هذه المقالة بحلّتها العربيّة. كما نشكر طالبة الدّكتوراه في الجامعة الأميركيّة في بيروت لينا جمّال لمساعدتها في ترجمة نصّ المقدّمة إلى الإنكليزيّة والأستاذ جان جاك تيبون من جامعة إنالكو لقراءته الدّقيقة وملاحظاته المفيدة. وقد أفاد البحث من منحة بحثيّة من الجامعة الأميركيّة في بيروت فللجامعة خالص الشّكر.

المحقّقان

Bilal Orfali
(American University of Beirut)

بلال الأرفه لي
(الجامعة الأميركيّة في بيروت)

Francesco Chiabotti
(INALCO)

فرانشسكو كيابوتي
(إنالكو)

المقدّمة: الحديث والتّصوّف

تناولت الكثيرُ من الدّراسات العلاقةَ التي ربطت أهلَ الحديث[١] بأهل التّصوّف، وكيف أثّرت علومُ كلٍّ منهما في علوم الطّرف الآخر. كما أظهرت الدّراسات اتّصالَ الصّوفيّة - منذ بداية تكوّنها - بشبكةٍ من «أهل الحديث»[٢]. وفي هذا الصّدد، يؤكّد أحمد قرامصطفى (Ahmet Karamustafa) التّالي:

> لا ريب أنّ المتصوّفين الأوائل شكّلوا نخبةً فكريّةً ضليعةً بالقرآن والحديث وغيرها من العلوم. [...] وهم في تردّدهم حيال استعمال التّفكير العقلانيّ الإنسانيّ في الشّؤون الإلٰهيّة يقتربون من أهل الحديث الذين اتّخذوا أحمد بن حنبل مثالًا.[٣]

وفي معرض دراسته للمتصوّف البغداديّ الجُنيد (ت ٢٩٧/ ٩١٠)، يروي حسن عبد القادر حادثةً تُظهر مدى التّوتّر الحاصل بين مختلف العلوم الإسلاميّة في القرن الثّالث الهجريّ/التّاسع الميلاديّ. كما يُشيرُ إلى الجهود التي بذلها أعلامُ التّصوّف -

(١) Schacht, Ahl al-Ḥadīth.

(٢) انظر على سبيل المثال:
Ephrat, *Spiritual Wayfarers*, 86f; Algar, Hadith; Melchert, Piety of the Hadith Folk.

(٣) Karamustafa, *Sufism*, 22-3.

أمثالَ الجنيد - في سبيل توحيدِ مختلف الأطراف الفكريّة والرّوحيّة:

ويروي الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: قال لي السّريّ خالي وشيخي يومًا: إذا قمتَ من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبيّ، فقال السّريّ عندها: «نعم خُذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلّمين.» ثمّ لمّا ولّيت سمعته يقول: «جعلك الله صاحب حديث صوفيًّا، ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديث».(٤)

ولعلَّ هذه الوصيّةَ قد تركت بصماتها في نفسِ الجنيد، إذ كان يعدُّ الحديثَ واحدًا من الأعمدة التي قام عليها الطّريق الرّوحيّ، يقول: «علمُنا هذا مقيّدٌ بحديثِ رسول الله».(٥) وإنّ اهتمام هؤلاء المتصوّفة الأوائل بالحديث وأدب الزّهد ليظهرُ جليًّا فيما جمعه بعضُ أقران الجنيد من كتبٍ للأحاديث عن الزّهد ونكران الذّات، منها مثلًا: **الفوائد في الزّهد** لجعفر الخلديّ (ت ٣٤٨/ ٩٥٩-٩٦٠) و**كتابٌ في معنى الزّهد والمقالات وصفة الزّاهدين** لأبي سعيد ابن الأعرابيّ (ت ٣٤١/ ٩٥٢). من أهمّ هذه الكتب التي وصلتنا كتاب **الأمالي** في الحديث لصاحبه أبي عبد الله أحمد بن عطاء الرّوذباريّ (ت ٣٦٦/ ٩٧٦-٩٧٧)(٦) - ابن

(٤) Abdel-Kader, *Life, Personality and Writings of al-Junayd*, 3.

(٥) القشيريّ، **رسالة**، ١، ٧٩؛ English transl. Knysh, *Epistle*, 44.

(٦) لمزيدٍ من التّفاصيل حول سيرة أحمد بن عطاء الرّوذباريّ، انظر: الذّهبيّ، **سير**، ١٦، ٢٢٧؛ الخطيب البغداديّ، **تاريخ بغداد**، ٥، ٩٧.

أخت أبي عليّ الرّوذباريّ (ت ٣٢٢/ ٩٣٤) - الذي جمع في كتابه بين أحاديث النّبيّ وقصص المتصوّفين وأشعارهم.(٧)

تمكّن المتصوّفة بفضل روايتهم للحديث من تغيير النّظام الدّينيّ في خراسان، وذلك خلال العصر الذّهبيّ لمدرسة نيسابور - في فترةٍ امتدّت لثلاثة أجيالٍ على الأقلّ، بدءًا من ابن نُجَيد (ت ٣٦٦/ ٩٧٦-٩٧٧) ووصولًا إلى القُشيريّ (ت ٤٦٥/ ١٠٤٧). وأعمال السّلميّ خير مثالٍ على ذلك لأنّها تأثّرت بكونه محدّثًا؛ يقول جان جاك تيبون (Jean-Jacques Thibon) في ذلك:

يظهرُ اعتماد السّلميّ في معظم أعماله على الأحاديث النّبويّة، وهذا نتيجةٌ لنشأته كمحدّث. وقد أحسن السّلميّ توظيف هذه الأحاديث فيما يخدم مراده من العمل. ولا عجب في ذلك، إذ شكّلت الأحاديثُ عمادَ المدرسة الرّوحيّة، وإليها يُردُّ توثيق العقيدة وتشريع العبادات.(٨)

(٧) الرّوذباريّ، **أمالي**، حقّق جزءًا منه برند رادتكه (Bernd Radtke)؛ *Materialen zur alten islamischen Frommigkeit*, 215-66. See also Ephra, *Spiritual Wayfarers*, 86ff («Profiles of Sufi Traditionists»).

(٨) «Que Sulamī recoure, dans la majorité de ses œuvres, au hadith pourrait en apparence relever de sa formation de traditionniste. Ce seul argument ne suffit pourtant pas à expliquer le role assigné a la tradition prophetique qui occupe dans son oeuvre une place particuliere. [...] Fondamentalement, il represente la base de l'enseignement spirituel, la reference et la justification majeure sur laquelle s'élabore la doctrine et s'etablissent les pratiques». Thibon, *L'œuvre*, 133.

مخطوط فولرز – Vollers 875d

ندرس في هذا البحث مصدرًا جديدًا يُظهر العلاقة بين الحديث والتّصوّف. والمصدر هذا جزءٌ مخطوط من مكتبة الأسرة الرّفاعيّة في دمشق، باعه واحدٌ من سلالة هذه الأسرة السّوريّة، ثمّ حُفظ في مكتبة جامعة لايبزغ في ألمانيا منذ العام ١٨٥٣.(٩) وهو الجزء الرّابع ضمن مجموعةٍ متنوّعة، وقد جاء بعنوان: **جزءٌ فيه قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ رحمة الله عليه**. ووضع فولرز (Vollers) المخطوط عام ١٩٠٦ في قائمة مكتبة جامعة لايبزغ للمخطوطات الشّرقيّة تحت رمز: «Vollers 875d» ووصفه بقوله: «مجموعة مخطوطاتٍ من ٧٣ ورقة، حُفظت بشكلٍ جيّدٍ، مقاسها ١٣، ٣ × ١٨سم).(١٠) وتتضمّن هذه المجموعة المخطوطات التّالية:(١١)

(٩) Gacek, *Arabic Manuscripts*, 23:
«جرتِ العادةُ بين القرنين التّاسع والثّاني عشر للميلاد أن يُنسخَ عددٌ من الكتيّبات المستقلّة في جزءٍ واحدٍ، بحيث يبقى كلٌّ منها منفصلًا عن الآخر ولا تُجمع في مجلّدٍ واحدٍ [. . .]. ناهيك عن أنّ كثيرًا من المخطوطات لم يكن يُحفظُ في مجلّداتٍ صلبة، وبعضها كان يُجعلُ بين دفّتي جلدٍ رقيقٍ دون لوحٍ خشبيٍّ أو ما يقومُ مقامه». للنّظر أكثر في تاريخ مخطوطات Leipzig، انظر:
Liebrenz, *Arabische, Persische und Türkische Handschriften.*
انظر أيضًا الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بالمجموعة الرّفاعيّة:
http://www.refaiya.uni-leipzig.de.

(١٠) Vollers, *Katalog*, 301-3.

(١١) تستند هذه المعلومات إلى ما ورد في الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بالمجموعة=

(١) الورقات ١أ-٩ب: عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد العماديّ الحنفيّ (ت ١٠٥١/١٦٤١)(١٢)، **الرّوضة الرّيّا فيمن دُفن في داريّا**. إحصاءٌ قصيرٌ لأهمّ القبور الموجودة في منطقة داريّا، سوريا.(١٣)

(٢) الورقات ١٠أ-٣١ب: تقيّ الدّين أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة (ت ٧٢٨/١٣٢٨)، **كتاب الصّفات الاختياريّة**. كلامٌ موجزٌ عن صفات الله للعلّامة الشّهير ابن تيميّة. ويرجّح فولرز أنّ هذا المخطوط غير المؤرّخ قد دُوّن بعد وفاة المؤلّف بفترةٍ قصيرة.(١٤)

(٣) الورقات 32a-57b: برهان الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن محمود النّاجي الحلبيّ الشّافعيّ القادريّ (ت ٩٠٠/١٩٤٥)(١٥)، **كنز الرّاغبين العُفاة في الرّمز إلى المولد المحمّديّ والوفاة والفضائل والشّمائل والمعجزات والدّلائل وما فات به الأواخر والأوائل**. بحثٌ في شمائل النّبوّة لم يُنشر بعد، وله مخطوطاتٌ أخرى حول العالم.(١٦) ويشير

=الرّفاعيّة
http://www.refaiya.uni-leipzig.de/receive/RefaiyaBook_islamhs_00006267.

(١٢) للمزيد عنه، انظر: Brockelmann, *GAL*, II, 291.

(١٣) هذا القسم حقّقه عبد العليّ الأشعث عام ١٩٨٨ (دمشق: دار المأمون للتّراث).

(١٤) Vollers, *Katalog*, 302: «Die Abschrift ist ohne Datum, mus aber dem Verfasser nah stehen».

(١٥) للمزيد عنه، انظر: Brockelmann, *GAL*, II, 98 and *GALS*, 116-17.

(١٦) Berlin (Ahlwardt) Nr. 2574.

فولرز إلى أنّ المخطوط قد يكون بخطّ المؤلّف نفسه، أو بخطّ أحد معاصريه.[١٧]

(٤) الورقات ٥٩أ-٧١ب: **قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ**. وهو موضوع بحثنا هذا.

(٥) الورقات ٧٢أ-٧٣أ، أبو محمّد عبد الله بن سعد (أو سعيد) بن أبي حمزة (أو جمرة) الأزديّ الأندلسيّ[١٨]، **قصيدةٌ في ختم البخاريّ**، يُمدَحُ فيها **صحيح أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ** (ت ٢٥٦/ ٨٧٠). وقد نُظِمَتْ لتُنشد عقب قراءة **صحيح البخاريّ** أو إملائه.

وبالعودة إلى المخطوط الرّابع، يذكر فولرز أنّ النّصّ يعود إلى القرن الهجريّ الثّاني/الميلاديّ الثّامن. وقد دُوِّنَ على الورقة ٧١ب أنّ المخطوط قد قوبل بمخطوط آخر على يد شخصٍ يُدعى محمّد بن حميد إسكاف. ولم يتوقّف فولرز عند مدى صدق ذلك. وسنناقض مدى موثوقيّة النصّ فيما يلي من بحثنا. ومن الجدير بالذّكر أنّ فؤاد سزكين (Sezgin) في كتابه **تاريخ التّراث العربيّ** قد شكّك في نسبة هذا المخطوط إلى ذي النّون.[١٩]

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) للمزيد عنه، انظر: Brockelmann, *GAL*, I, 372.

(١٩) Sezgin, *GAS*, I, 643.

ذو النّون المصريّ

يرصد المخطوط زيارة أبي الفضل العبّاس بن حمزة بن أشوش النّيسابوريّ (ت ٢٨٨/ ٩٠١) لذي النّون المصريّ (ت نحو ٢٤٥/ ٨٥٩-٨٦٠) - أحدِ رموز التّصوّف الأوائل -[٢٠]. ولقد قام مايكل إبستاين (Michael Ebstein) بدراسةٍ مفصّلةٍ لآثار ذي النّون، وأكّد أنّ الأخير يُثير الكثير من التّحدّيات لمن أرادَ أن يؤرّخ لبدايات الفكر الصّوفيّ.[٢١] وإنّ الفضلَ في دراسة إرثه ومعتقده يعودُ إلى من كتبَ عن حياته أو تعاليمه من المتأخّرين، وذلك لأنّ ذا النّون لم يخلّف أثرًا واحدًا مكتوبًا. وقد حدّد إبستاين جوانب عدّة لتعاليمه، وحلّل المظاهر النّاجمة عنها (التّصوّف والزّهد والحديث والسّحر)، مع إشارته إلى صعوبةٍ لا تخفى في تكوين صورةٍ متينةٍ ومتناسقةٍ لهذا العَلَم. ولا بدّ هنا من الوقوف برهةً عند حياة ذي النّون، لأنّها ستساعد في وضع المخطوط في إطاره الصّحيح. وقد استندنا إلى ما أدلى به إبستاين فيما يلي من ترجمةٍ موجزة:

وُلد ذو النّون في صعيد مصر، في قريةٍ تُدعى «إخميم». ثمّ انتقل إلى الفسطاط ليكمل تربيته الدّينيّة والرّوحيّة. ولم يكن مواليًا

(٢٠) لمزيدٍ من التّفاصيل حول العبّاس بن حمزة، انظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ٢٦، ٢٤٥.

(٢١) Ebstein, Ḏū l-Nūn al-Miṣrī, 560.

إنّ مقالة إبستاين هي الأكثر شمولًا إلى اليوم فيما يخصّ دراسة ذي النّون المصريّ، وتضمّ ثبتًا مفصّلًا للمصادر والمراجع.

للسّلطات السّياسيّة، وانتقدها في مناسبتينِ اثنتين: سخرَ في المرّة الأولى من القاضي محمّد بن أبي اللّيث (ت ٢٥٠/ ٨٦٤-٨٦٥)، وسيق في المرّة الثّانية إلى الخليفة العبّاسيّ المتوكّل (ت ٢٤٧/ ٨٦١) في سامرّاء،[٢٢] وسُجن بسبب المحنة التي أثارها العبّاسيّون حول مسألة خلق القرآن، في محاولةٍ منهم للحدّ من شعبيّة العلماء المتزايدة التي شكّلت خطرًا على نفوذهم.[٢٣] كما كانت تعاليمه الصّوفيّة محطَّ شبهةٍ لدى السّلطات المحلّية في الفسطاط. وقد قام ذو النّون بسياحاتٍ كثيرة، قابل فيها رموزًا هامّةً من العلماء إلى جانب المتصوّفين والمتصوّفات الذين نجهل هويّاتهم، وكان لهذه اللّقاءات أثرٌ في تربيته الرّوحيّة. وفي نهاية المطاف، عاد ذو النّون إلى الفسطاط مجدّدًا واستقرّ فيها، واستقطب هناك عددًا من التّلاميذ. توفّي في الجيزة، ودُفن في مدافن قرافة الصّغرى. وتختلف المصادر حول تاريخ وفاته بين عام ٢٤٥/ ٨٥٩-٨٦٠ وعام ٢٤٦/ ٨٦١ وعام ٢٤٨/ ٨٦٢-٨٦٣، إلّا أنّ معظم المصادر يُجمع على التّاريخ الأوّل.

(٢٢) لتقييم المصادر المتعلّقة بلقاء ذي النّون والخليفة، انظر:
Ebstein, Ḏū l-Nūn al-Miṣrī, 563-66.

(٢٣) انظر: Nawas, *al-Ma'mūn*.

بنية المخطوط ومضمونه

يقع المخطوط في ثلاثة أقسام: (١) الإسناد الذي يربط الرّاوي بالعبّاس بن حمزة (الورقات ٥٩أ-٥٩ب)؛ قصّة ذي النّون مع العبّاس بن حمزة (الورقات ٥٩ب-٧١أ)؛ (٣) مجموعةٌ من الأقوال المنسوبة إلى ذي النّون، وتحمل الإسناد نفسه الواردَ في مطلع المخطوط (الورقات ٧١أ-٧١ب). وفيما يلي خلاصةٌ لكلّ قسم.

الإسناد

يردُ الإسناد في المرّة الأولى مباشرةً بعد العنوان (الورقة ٥٩أ):

> جزء فيه قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ رحمة الله عليه: رواية الحاكم أبي عبدالله محمّد بن عبدالله بن البيِّع[٢٤] أبي بكر محمّد بن عبدالله بن يوسف ابن بنت العبّاس بن حمزة عن العبّاس رواية أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ عن الحاكم أبي عبدالله.

ثمّ يُعاد ذكر الإسناد بعد البسملة في الورقة التّالية (٥٩ب):

> أخبرنا الشّيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ إجازةً قال: أنبأ أبو عبدالله محمّد بن عبدالله البيّع[٢٥] الحاكم النّيسابوريّ قراءةً عليه وأنا أسمع قال: سمعت أبا بكر

(٢٤) في الأصل: التّبّع.
(٢٥) في الأصل: التّبّع.

> محمّد بن عبد الله بن يوسف بن بنت العبّاس بن حمزة غير مرّة يقول: سمعت جدّي أبا الفضل العبّاس بن حمزة يقول: «دخلت على ذي النّون المصريّ رحمه الله تعالى [...]».

نتوقّفُ بدايةً عند السّطر الأوّل من الإسناد. أبو بكر أحمد البيهقيّ (ت ٤٥٨/١٠٦٦)[٢٦] هو واحدٌ من أبرز تلامذة المحدّث الشّهير الحاكم ابن عبد الله النّيسابوريّ (ت ٤٠٥/١٠١٤)[٢٧]. والعبّاس بن حمزة كان أحد مريدي ذي النّون، كما يؤكّد السُّلميّ[٢٨] وابن عساكر[٢٩] والذّهبيّ[٣٠]، فلا ريب أن يكون تأثير ذي النّون على العبّاس بن حمزة كبيرًا، يقول: «لقد لحقتني بركةُ ذي النّون».[٣١] ويذكر ابن عساكر قولًا لذي النّون سجّله العبّاس بن حمزة ونقله إلى سبطه أبي بكر محمّد بن عبد الله بن

(٢٦) لمزيدٍ من المعلومات عنه، انظر:
Robson, al-Bayhaḳī; Dickinson, al-Bayhaqī; Pakatchi and Waley, al-Bayhaqī.

(٢٧) «من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله والمكثرين عنه»؛ الصّريفينيّ، **منتخب**، ١٢٥. للمزيد عن الحاكم، انظر: الذّهبيّ، **سير**، ١٧، ٧٧-١٦٢؛ Brown, *Canonization*, 155f.; Robson, al-Ḥākim al-Naysābūrī.

(٢٨) السّلميّ، **طبقات**، ٢٥.

(٢٩) بالعودة إلى ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ٢٦، ٢٤٥، «كان العبّاس بن حمزة صاحب ذي النّون».

(٣٠) الذّهبيّ، **تأريخ الإسلام** (بين عامي ٢٨١ و٢٩٠)، ١٩٧.

(٣١) ابن عساكر، **تأريخ مدينة دمشق**، ٢٦، ٢٤٧؛ الذّهبيّ، **تأريخ الإسلام** (بين عامي ٢٨١-٢٩٠)، ٢١، ١٩٧.

يوسف [العمانيّ النّيسابوريّ] (ت ٣٤٤/٩٥٥) الذي يظهر في إسناد مخطوطنا.[٣٢] علاوةً على ذلك، إنّ بعض الأقوال المنسوبة إلى ذي النّون في آخر قسمٍ من هذا المخطوط (انظر فيما يلي: «أقوالٌ متفرّقة لذي النّون») قد أوردها البيهقيّ نفسه في **شعب الإيمان** و**الزّهد الكبير** بالإسناد نفسه الوارد في مخطوطنا.[٣٣] إنّ ذلك كلّه يضع الإسناد موضع قبولٍ لدينا، ولكنّنا سنعود للتعمّق في موثوقيّته في نهاية هذا البحث.

اللّقاء:

تحكي القصّة لقاء ذي النّون بالعبّاس بن حمزة حين كان الأوّلُ - على أغلب الظّنّ - تحت الإقامة الجبريّة في مصر.[٣٤] وقد تحدّث مايكل إبستاين عن ذلك مؤخّرًا بقوله:

> انتقد ذو النّون السّلطات الدّينيّة والسّياسيّة في عهده، في مناسبتين اثنتين ولسببينِ مختلفين. في المرّة الأولى، قام القاضي المصريّ محمّد بن أبي اللّيث عام ٢٢٧/٨٤٢

(٣٢) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ٢٦، ٢٤٦.

(٣٣) فيما يلي مقارنةٌ شاملةٌ بين الاثنين.

(٣٤) يذكر النّصُّ السّجّان (الورقة ٦١ب) الذي كان يضبط أمر الدّخول على ذي النّون، كما يذكر العبّاس بن حمزة أنّه زاره في مصر (الورقة ٧٠١أ). كما قام رواةٌ آخرون بزيارته أثناء فترة اعتقاله، مثل إسرافيل (حضرْتُ ذا النّون في الحبس، أبو نعيم، **حلية**، ٩، ٣٤٦). ويذكر مكّيّ كذلك أمر سجنه (**قوت القلوب**، ٣، ٢٣١، ٤٧٨؛ «لم يذق ذو النّون طعامًا لأيّام لئلّا يأكل من طعام السّلطان»)؛ ومن المصادر التي ذكرت سجنه الغزاليّ، **إحياء**، ٢، ٢٠.

> بأمرٍ من الخليفة الواثق بالله باتّخاذ إجراءاتٍ قاسيةٍ بحقّ رجال الدّين الذين لم يقولوا بقولِ العبّاسيّين في مسألة خلق القرآن. فما كان أمام العلماء المصريّين إلّا الهرب أو الاختباء، وإلّا كان السّجن مصيرهم.(٣٥)

استنادًا إلى المصادر التي اعتمدها إبستاين، غادر ذو النّون مصر هاربًا ثمّ عاد إليها وأقرَّ بخلق القرآن.(٣٦) أمّا مخطوطنا فيُظهر ذا النّون بوجه آخر، أقربَ إلى الوجه التّقليديّ الذي عُرف به في كتب التّراجم: عالمٌ منزوٍ ينهى مريديه عن مهادنة السّلطات أو التّقرّب منها، وهو نهيٌ يتجلّى بوضوحٍ في القصّة التي بين أيدينا.(٣٧) وإنّ العقاب الذي خضع له ذو النّون يشكّل إطار هذه القصّة، ويقرّبها أكثر من أدب «محن الصّوفيّة». وقد خصّص السّرّاج - المؤلّف الصّوفيّ من القرن الهجريّ الرّابع/الميلاديّ العاشر - فصلًا من **كتاب اللّمع** للحديث عن المحن والعذابات التي تعرّض لها أعلام الصّوفيّة الأوائل.(٣٨) ثمّ قام السّلميّ بتفصيل ذلك في كتابه **ذكر محن المشايخ الصّوفيّة**(٣٩)، مستهلًّا

(٣٥) Ebstein, Ḏū l-Nūn al-Miṣrī, 563-4.

(٣٦) المصدر نفسه، 564.
يعتمد إبستاين على **كتاب الولاة** لمحمّد بن يوسف الكنديّ.

(٣٧) على سبيل المثال: القشيريّ، **رسالة**، ١، ٣٨؛ أبو نُعيم، **حلية**، ٩، ٣٣٧.

(٣٨) Arberry, *Pages from Kitāb al-Luma'*.

(٣٩) See Bowering and Orfali, *Inquires*, 18-19 (القسم الإنكليزيّ من الكتاب).

إيّاه بمحنة ذي النّون.(٤٠) وكانت الغاية من هذا النّوع من المؤلّفات إظهار قدرة الله في حفظ أوليائه وإكرامهم بالمعجزات في وجه من يعاديهم. والسّؤال هنا: إلى أيّ حدٍّ كان ذو النّون خاضعًا للمحنة؟ لقد حاولَ فلوريان سوبيروج (Florian Sobieroj) الإجابة عن ذلك في بضع صفحاتٍ ضمن دراسةٍ له حول موقف المعتزلة من التّصوّف. يقول بدايةً:

> لم يُظهِرِ المتصوّفة - عمومًا - معارضةً ملحوظةً للمذهب المعتزليّ في بغداد، ولم يعلنوا كذلك تأييدهم لابن حنبل الذي حملَ لواءَ أهلِ السّنّة آنذاك، لكنّهم ما لبثوا أن عظّموه لعلّهم يدركون بذلك ما فاتهم من أمر نُصرته.(٤١)

علاوةً على ما سبق، يُعَدُّ ذو النّون المتصوّفَ «الوحيد الذي تعرّض لأذىً جسديٍّ بسبب رفضه لمسألة خلق القرآن».(٤٢) وفي طيّات سيرته لدى كلٍّ من السّرّاج والسّلميّ والأنصاريّ صفحاتٌ عن مواقفه المعجزة خلال هذه المحنة.(٤٣) أمّا هذا الجزء فلا يشير إلى شيءٍ من كراماته، ولعلّ السّبب وراء ذلك أنّ اللّقاء تمَّ في ظلِّ محنته الثّانية، وإن لم يُذكر ذلك صراحةً في النّصّ. ويرجّح سوبيروج أنّ ذا النّون:

(٤٠) **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

(٤١) Sobieroj, Mu'tazila and Sufism, 73.

(٤٢) المصدر نفسه، 75.

(٤٣) المصدر نفسه، 75.

> أثار غضبَ السّلطات بتعاليمه الصّوفيّة (يعدُّه السّلميّ أوّل من تحدّث عن أحوال الصّوفيّة ومواقفها في مصر)، فلُقِّب بالزّنديق وطُرد من قبل جماعة العلماء المصريّين [...]. واستدعاه الخليفة المتوكّل عام ٢٤٤ للهجرة وعزمَ على قتله، لكنّه تمكّن من النّجاة بفضل أسلوبه المقنع في الكلام والوعظ.(٤٤)

في جميع الأحوال، يبقى الموضوع الرّئيس للجزء هو انتقادُ العلاقة التي تربط المحدّثين بالسّلطات، وهو بعيدٌ في ظاهر الأمر عن المحن. فالمحنة تشكّلُ مجرّدَ إطارٍ أدبيٍّ قويٍّ دارت حوله حكاية اللّقاء، وظهر فيه ذو النّون نموذجًا يُقتدى به لمقاومة السّلطات (المذهبيّة) الفاسدة.

يُسفر انطباعُ العبّاس الأوّل لدى رؤيته لذي النّون عن مزايا الأخير التي ألقت في قلوب الآخرين مهابته، يقول:

> دخلت على ذي النّون المصريّ رحمه الله تعالى وعنده نفرٌ من المريدين وقد ذهب بهم الفِكْر وكأنّ على رؤوسهم الطير هيبةً له فانتفعتُ برؤيته من قبل أن أجلس، فسلّمت عليهم فردَّ السّلام. (الورقة ٥٩ب)

إنّ صورة الطّير على رؤوس المريدين تعود بنا إلى حال الصّحابة تعلوهم السّكينةُ والوقارُ في حضرة النّبيّ محمّد، وقد جيء بهذه الصّورة على الأغلب لإظهار ذي النّون في مظهر وارث

(٤٤) المصدر نفسه، 76, n47.

النّبوّة.(٤٥) وبعد دعاءٍ قصير،(٤٦) تقدّمَ أحدُ المريدين من ذي النّون وسأله أن يوصيه فقال:

> تؤثرون الله على جميع الأسباب، استعملوا الصّدق فيما بينكم وبينه، وأحبّوه بكل قلوبكم، والزموا بابه واستغنوا به وتلذّذوا بذكره، وتوسّدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه نُصْب أعينكم إذا قمتم. [...] (الورقة ٥٩ب)

وبعد قوله ذلك، استغفرَ ذو النّون ربّه على ما قال. ويسجّل النّصّ نفسه تردُّدَهُ في أداء واجبِ النّصح لتلاميذه، يقول: «إنّ للكلامِ حلاوةً في الدنيا، وما أعظم مؤنة الكلام في الآخرة». (الورقة ٦٠أ) ثمّ سأله العبّاس بن حمزة أن يحدّثه بحديثٍ لعلّه ينتفع به ويذكره به. ويخصُّ بالطّلب نوعًا معيّنًا من الأحاديث، يقول: «رجوت أنّك تحدّثني حديثًا في الرّقاق يكون عونًا على هذا المذهب.» (الورقة ٦٠ب) فيتردّد ذو النّون في إجابة طلبه بحجّة أنّ للحديث رجالًا، كما أنّه مشغولٌ بصلته بربّه.

وبالعودة إلى حديث الرّقاق الذي طلبه العبّاس، فإنّ النّصّ قد يُوظَّف في إظهار العلاقة بين المذهب الصّوفيّ من جهة وبين الحديث ورواته من جهةٍ أخرى. فالقومُ بالنّسبة إلى ذي النّون –

(٤٥) على سبيل المثال: انظر رواية البخاريّ، **صحيح**، جهاد، ٢٨٤٢: «وسكتَ النّاسُ كأنَّ على رؤوسهم الطّير».

(٤٦) «اللهمَّ كما جمعتنا على ذكرك فلا تخزنا بعذابك يا الله، واجعلنا من أحبَّائك وأَشْغِلنا بخدمتك» (الورقة ٥٩ب). قارن هذا الدّعاء بمناجاة ذي النّون التي أوردها أبو نعيم في مستهلّ حديثه عنه في: **الحلية**، ٩، ٣٣١ وما بعدها.

وهم نخبة المؤمنين - يجسّدون نقيض السّلطة الدّينيّة الفاسدة، يقول: «إنّ العلمَ سلاحٌ للدّين، فإذا طلبتَ به الدّنيا صيّرتَهُ سلاحًا للدّنيا». (الورقة ٦١أ) ثمّ يقترحُ على العبّاس أن يقصدَ المسيّب ابن واضح[٤٧] (ت ٢٤٦/ ٨٦٠) ويسأله أن يروي له بعضًا من كلام الحسن البصريّ[٤٨] (ت ١١٠/ ٧٢٨) وفق الإسناد الآتي:

الحسن البصريّ ← شخصٌ مجهولٌ يُشار إليه بالقول «بعض أصحابنا» (الورقة ٦٧ب)، ويشكّل صلة الوصل بين الثّوريّ والبصريّ ← سفيان الثّوريّ (ت ١٦١/ ٧٧٨)[٤٩] ← يوسف بن أسباط (ت ١٩٩/ ٨١٤-٨١٥)[٥٠] ← المسيّب بن واضح (ت ٢٤٦/ ٨٦٠).

أصرَّ العبّاسُ على سماع الحديثِ من ذي النّون، فأُعجبَ الأخيرُ بإصراره وقرّرَ أن يعلّمه الحديثَ في اليوم التّالي.

والرّواية ههنا تلتزم بنية الإسناد المألوفة، حيث ينقل كلّ راويةٍ عمّن سبقه، ويزيدُ شيئًا عن مدى صعوبة إخلاص النّيّة في

(٤٧) للمزيد عن المسيّب انظر نصّ الذّهبيّ، **سير**، ١١، ٤٠٣ الذي يؤكّد فيه لقاء المسيّب بذي النّون.

(٤٨) للمزيد عن الحسن البصريّ، انظر: Mourad, *Early Islam*.

(٤٩) انظر: Gilliot, Sufyān al-Ṯawrī.

(٥٠) لمعرفة المزيد عن يوسف بن أسباط - أحد أبرز المتصوّفة في القرن الثّاني للهجرة/ الثّامن للميلاد - انظر: أبو نُعيم، **حلية**، ٨، ٢٣٧؛ الذّهبيّ، **سير**، ٩، ١٦٩-١٧١. عدّهُ أبو نُعيم (**حلية**، ٦، ٣٨٩) من مشايخ سفيان، وأورد الذّهبيّ (**سير**، ٧، ٢٤٤) مقولةً للثّوريّ تفيد في دراسة الجزء الذي بين أيدينا، يقول: «زيّنوا العلم والحديث بأنفسكم ولا تتزيّنوا به».

نقل العلم. فينتظرُ القارئ بضعَ صفحاتٍ قبل أن يطالعه كلامُ الحسن البصريّ. والإطار العامّ لكلّ مرحلةٍ من مراحل الإسناد يتكرّر نفسُهُ بشكلٍ أو بآخر. يذكر المسيّب على سبيل المثال أنّ العبّاس لقيَ يوسف بن أسباط حين كان وحدَه غارقًا في فكره، فسألَه أن يعلّمه الحديث فرفضَ قائلًا: «إلى كم يكتب الرّجل، فمتى يعمل، هذا زمان تضرّعٍ ودعاء». (الورقة ٦١ب)

وبذلك تغدو البنية العموديّة للإسناد دائريّةً: إذ يعمدُ كلّ راويةٍ قبل الإدلاء بالحديث إلى وصف ما آلَ إليه وضعُ العلم والعلماء في عصره. فقائل الحقّ يخشى على نفسه، وطلّاب العلم باتوا ندرةً، والفساد قد تمادى حتّى طال أهلَ الحديث... يستشعرُ قارئ هذا الكلام تناقضًا غير مفهوم، لكنّ رغبته في سماع كلام البصريّ تدفعه إلى استكمال القراءة والتّحلّي بالصّبر. ووجه التّناقض هو الخطر المحدِقُ برواية الأحاديث من جهة، وكون هذا الحديث قد استقرَّ عند القارئ عبر سلسلةٍ من الرّواة من جهة أخرى. وحقيقة الأمر أنّ الذي سمحَ بانتقال هذا الحديث بالذّات هو قناعة كلٍّ من الرّواة ببركته وبتأثيره ونفعه.[٥١]

وكما ذكرنا سابقًا، يتمحور النّصّ حول «حديث الرّقاق»، وقد أشاد سفيان بهذا النّوع من الأحاديث قائلًا: «إنّما حسنُه أن

(٥١) يقول الأسباط: «ولا أظنّ أحدًا يسمع بهذا الحديث إلّا انتفع به» (الورقة ٦٣أ)؛ ويشاركه سفيان الثّوريّ هذا الرّأي: «قلّ ما أذكر هذا الحديث إلّا انتفعت به» (الورقة ٦٧ب)، وكذلك المسيّب: «وأنا أرجو أنّك تنتفع بهذا الحديث» (الورقة ٧٠ب).

يظهرَ الفعلُ به» (الورقة ٦٥أ). ويظهرُ تعريف هذا النّوع من الحديث في قول المسيّب للعبّاسِ بن حمزة:

> إنّ أصحاب الحديث لا نراهم يرغبون في مثل هذا الحديث، وهل النّفع إلّا فيما يُرقّ قلبَ الرجل ويبعثُه على العمل لله تعالى، وأنا أرجو أنّك تنتفع بهذا الحديث لما أرى في رغبتك في حديث الرقائق. (الورقة ٧٠ب)

فما يكون حديث الحسن البصريّ الذي تُحمدُ الرّغبةُ فيه؟ عندما ينتهي الإسناد، يكرّر البصريّ ما سبق وذكره الرّواة قبله. يخبرُ أنّه كَبُرَ في السّنّ ورقّ عظمه (الورقة ٦٨أ) ويعلّل عزوفَهُ عن التّعليم ورواية الأحاديث بأمرٍ قد تكرّر على لسان جميع الرّواة في هذا النّصّ، وهو أنّهم يعيشون في زمان فتنٍ خيَّمَت بظلالها على النّاس بمن فيهم أهل الحديث. وليس هذا الواقع بالجديد أو المستغرب، وقد بيّن فرتز مايير (Fritz Meier) أنّ هذه الصّورةَ كانت شائعةً في كتب الأدبِ والتّصوّف على السّواء.[٥٢] ثمّ يعبّر البصريّ عن توقه إلى أقوامٍ كان «الرّجل منهم إذا تعلّم الحديثَ الواحدَ ظهرَ أثرُهُ عليه وعلى أهله وولده، وحتّى على خدمه وجيرانه وعلى كثيرٍ من إخوانه». (الورقة ٦٨ب) ثمّ يسأل اللهَ أن يُلهمه الاشتغال بذكره، ويستعيذُ به من طول الأمل لأنّه يُنسي الآخرة. (الورقة ٦٨ب) وكلام البصريّ

(٥٢) Meier, Sufik und Kulturzerfall.

يُختصرُ في آيةٍ قرآنيّةٍ واحدةٍ وهي قوله تعالى: أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٥ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٥ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ٥ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ٥ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (سورة النّجم: ٣٨-٤٢).

وفي آخر كلامه، يوصي البصريّ (الورقة ٦٩ب) باتّباع حديث النّبيّ لا حديث صاحب الدّنيا.

ثمّ يشرع العبّاسُ بن حمزة بعد نقل هذا الكلام في وصف حال ذي النّون، يقول:

> فلمّا فرغ ذو النّون من هذا الحديث بكى، وكان في خلال هذا الحديث ربّما يبكي وربّما صعق، فقال: يا أبا الفضل، لقد حدّثتك بحديثٍ رجوت أنّك تنتفع به وينتفع به [٧٠ أ] من يسمعه منك، فإذا لقيت المسيّب فاسأله أن يحدّثك به. (الورقة ٦٩ب-٧٠أ)

ولا تتوقّف الحكاية هنا، إذ يغادر العبّاس بن حمزة مصر ويتّجه نحو مسقط رأس المسيّب، وهو على الأغلب مدينة حمص في سوريا، ويقيم فيها حتّى توافيَه المنيّة.[٥٣] ويتردّد المسيّب في رواية الحديث شأنه شأن من سبقه من الرّواة، ثمّ يكرّر ما قاله له ذو النّون: «إنّ ذا النّون لمّا سمع منّي هذا الحديث قال لي: إنّي أجعل هذا الحديث رأسَ مالي ومؤدّبي». (الورقة ٧٠أ) ويفصح المسيّب - وهو الأكبر سنًّا من ذي النّون - بأنّه نال بركة اللّقاء به ويتمنّى أن يحظى غيره بما حظي به هو. (الورقة ٧٠ب) ثمّ ينتقل

(٥٣) الذّهبيّ، **سير**، ١١، ٤٠٤.

إلى نصّ الرّواية قائلًا:

> إنّي لم أحدّث بهذا الحديث إلّا ذا النّون ونفرًا من المتقشّفة، إنّ أصحاب الحديث لا نراهم يرغبون في مثل هذا الحديث، وهل النّفع إلّا فيما يرُقّ قلبَ الرّجل ويبعثُه على العمل لله تعالى. (الورقة ٧٠ب)

أقوالٌ متفرّقة لذي النّون المصريّ

ينتهي الجزء الذي قمنا باستعراضه بسبعة أقوالٍ تُنسبُ إلى ذي النّون، نقلها الحاكم النّيسابوريّ إلى البيهقيّ عن طريق الإسناد نفسه الذي ذُكر سابقًا. (الورقة ٧١أ-٧٢أ) وقد أورد البيهقيّ معظم هذه الأقوال في كتابيه: **شعب الإيمان** و**الزّهد الكبير** وبالإسناد عينه.[٥٤] وأورد السّلميّ وأبو نُعيم الإصفهانيّ عبارة منها في **طبقات الصّوفيّة** و**حلية الأولياء** على التّوالي.[٥٥] وختامُ هذه الأقوال قولٌ في فضل طلب الحديث، يرويه الحاكم عن **سعيد بن المسيّب** (ت ٩٤/٧١٣): «إنْ كنتُ لأسير الأيّام واللّيالي في طلب الحديث الواحد»، جملةٌ اشتُهرت عنه وتناقلتها معظم المصادر.[٥٦] وبخلاف ما سبق من المخطوط، تعود مجموعة الأقوال هذه إلى مصنّفات كُتبت في جيل الحاكم والسّلميّ. الأمر الذي يطرحُ من جديدٍ علامةَ استفهامٍ حول موثوقيّة النصّ.

---

(٥٤) البيهقيّ، **شعب الإيمان**، ٢، ٤٩، ١٨٢؛ و**الزّهد الكبير**، ١، ١١١.

(٥٥) السّلميّ، **طبقات**، ١، ٢٦؛ أبو نعيم، **حلية**، ٩، ٣٩٥.

(٥٦) انظر على سبيل المثال: ابن سعد، **طبقات**، ٢، ١١٨، ١٢٨؛ الخطيب البغداديّ، **رحلة**، ١٢٧؛ الذّهبيّ، **تاريخ الإسلام**، ٦، ٢٠٦.

موثوقيّة النّصّ وتأريخه

سبقَتِ الإشارة إلى أنّ الإسناد الذي استُهلّ به النّصّ موجود في كتب الحديث والأدب الصّوفيّ. فإن سلّمنا جدلًا بأنّ الإسناد تمّ تركيبه ليمنح الجزء مصداقيّةً لدى القارئ، نجد أنفسنا أمام تناقضٍ كبيرٍ بين شهرة هذا الإسناد، وبين حقيقة ورود هذا اللّقاء في هذا المخطوط المتأخّر دون غيره. هذا ما خلا استثناءً واحدًا في **مناقب الأبرار**، حيث يروي ابن خميس الموصليّ (ت ٥٥٢/ ١١٥٧) أوّل سطرين من حادثة اللّقاء مع تطابقٍ تامٍّ مع ما وردَ في مخطوطنا، إلّا أنّ إسناد ابن خميس يعود إلى محمّد بن الحسين الجوهريّ الذي التقى ذا النّون مع أبي الفضل العبّاس بن حمزة.(٥٧) وقد أعاد ابن عربيّ (ت ٦٣٨/ ١٢٤٠) ذكرَ هذا اللّقاء في ترجمته لذي النّون ضمن **الكوكب الدّرّيّ في مناقب ذي النّون المصريّ**.(٥٨) وإنّ ما أدلى به ابن خميس لَهُوَ كلمة الفصل في شأن تأريخ هذا المخطوط.

وتُطالعُنا إشكاليّةٌ أخرى في الإسناد الأساسيّ الذي يربطُ ذا النّون بالحسن البصريّ: لِمَ لا نعثرُ على هذه «السّلسلة الذّهبيّة»

(٥٧) قارن بين: ابن خميس، **مناقب**، ١، ١٠٩-١١٠، وبين المخطوط المحقّق أدناه، (الورقة ٦٠ب - ٦١أ). بالعودة إلى مصادر أخرى، التقى محمّد بن الحسين الجوهريّ بذي النّون المصريّ، راجع ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ٦٣، ٢٠٥. نشكر جان جاك تيبون الذي أرشدنا إلى نصّ ابن خميس.

(٥٨) قارن بين ابن عربيّ، **الكوكب الدّرّيّ**، ٦٨-٦٩، وبين المخطوط المحقّق أدناه، (الورقة ٦٠ب - ٦١أ).

من الرّواة إلّا ههنا؟ لقد تكرّرت الإشارة في الجزء إلى أنّ نقل هذا النّصّ كان أمرًا معجِزًا بحدِّ ذاته، وهذا إقرارٌ غير مباشرٍ بندرة هذا الإسناد. علاوةً على ذلك، إنّ الجهد الأدبيّ الذي قام عليه نصّ اللّقاء يوحي بأنّ أفراده هم شخصيّاتٌ حكائيّة، اختارهم مؤلّفٌ متأخّرٌ لإيصال رسالته بقالبٍ أدبيّ. كما يشعر القارئ بأنّه أمام صوتٍ واحدٍ يتكرّر على لسان جميع أولئك الذين رووا عن البصريّ. فهل اختُلِقَت هذه القصّة؟ ومتى؟ ولأيّة غاية؟

تتصدّى هذه القصّة للفارق بين الرّواية السّائدة للحديث وبين ما أسماه المخطوط حديث الرّقاق، وتؤكّد على تقاربٍ وتشابهٍ بين الاثنين من خلال نصٍّ موثّقٍ (تمّ استعراضه سابقًا بشكلٍ موجزٍ). والغاية من ذلك هي الرّدّ على من ضعّف روايةَ المتصوّفة والزّهّاد الأوائل للحديث النّبويّ. يقول ألكسندر كنيش (Alexander Knysh):

لطالما شكّك علماءُ الحديث بالرّواة من أهل التصوّف، وذلك لأنّهم يميلون إلى رواية الأحاديث التي تخدم مذهبهم الفكريّ وإن كانت ممّا طعن المحدّثون بصحّة متنه أو سنده.(٥٩)

ولم ينجُ الحسن البصريّ من هذا الاتّهام. كما قام الحسن الضّعيف (Lahsen Daiif) بتصوير العلاقة الشّائكة التي نشأت بين أهل الحديث والزّهّاد، من خلال مناظرةٍ كان محورها الحسن

(٥٩) Knysh, *Islamic Mysticism*, 22.

البصريّ.[٦٠] فلمَ يكون ذو النّون البطلَ في هذه القصّة؟ يعزو إبستاين ذلك إلى أنّ ذا النّون كان شخصيّةً مؤثّرةً وداعيةً من الطّراز الأوّل في نظر العديد من الفرق الإسلاميّة كالمتصوّفة وأهل الكلام، والأهمّ من ذلك أهل الحديث الذين تحطّ رحالنا عندهم في هذه القصّة. يقول إبستاين:

إنّ كلام ذي النّون يحثّ على ربط العلم بالعمل، وذلك امتثالًا لتعاليم القرآن والسّنّة النّبويّة.[٦١]

والموضوع الذي تثيرُهُ هذه القصّةُ ليس غريبًا أبدًا عن ذي النّون، فهو دائمًا ما يوجّه أصابع الاتّهام نحو رجال الدّين ورواة الحديث:

> يعمدُ ذو النّون في العديد من أقواله إلى ذمّ العلماء والمحدّثين الذين غرّهم ما وصلوا إليه، فخلعوا عنهم رداء التّواضع. وقد حرص هؤلاء على التّعاون مع السّلطات لمآرب كثيرة، منها رغبتهم في الشّهرة والرّفعة، وطمعهم في تحصيل مقابلٍ ماديّ أمام ما يبذلونه من علم. ولا ريب أنّ هذا النّقد السّلبيّ قد نشأ عن الصّدام الحادّ الذي وقعَ بين ذي النّون والنّظام السّياسيّ الدّينيّ الفاسد في عصره.[٦٢]

(٦٠) Daaif, Dévots et renonçants, 210-1.

(٦١) Ebstein, Ḏū l-Nūn al-Miṣrī, 594.

(٦٢) المصدر نفسه، ٥٩٦.

يرى إبستاين أنّ الأخذَ برواية ذي النّون للأحاديث محطُّ خلافٍ بين العلماء،[٦٣] لكنّ النّصّ الذي بين أيدينا ليس من أحاديث النّبوّة، لذا فإنّنا لسنا معنيّين بطريقة الرّواية بقدر ما تعنينا قيمتها الرّوحيّة. فالمسيّبُ اعتبر هذا الحديث «مؤدِّبَه»، ما يدلّ على بالغ أهمّيّته في زمن وضع القصّة.

وذكر أبو نُعيم في **الحلية** مصادر أخرى تشير إلى أنّ ذا النّون كان يعلّم الحديث. وقد جاءه يومًا أحد المحدّثين يسأله عن خطراته ووساوسه، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فهو يدلّ على المكانة التي تبوّأها ذو النّون في علم الباطن.[٦٤] وفي مقطعٍ آخر، يُسألُ ذو النّون عن السّبيل إلى التّواضع، فيذكر في معرض شرحه حديثًا للنّبيّ: «من تواضعَ للهِ رفعَهُ الله».[٦٥] وقد أفرد ابنُ عربيّ فصلًا في شرح ذي النّون لحديث النّبيّ: «ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام».[٦٦] وفي المصدر نفسه يردُ شرحُ ذي النّون لحديثٍ آخر: «أشدُّ النّاسِ بلاءً الأنبياء..».[٦٧] في ضوء هذا كلّه، تأتي قصّة اللّقاء ردًّا على من شكّك في علمِ ذي النّون بالحديث النّبويّ وعميق فهمه له. والقصّةُ - وإن دُوِّنَت في زمنٍ لاحقٍ -

(٦٣) المصدر نفسه، ٥٩٦.

(٦٤) أبو نعيم، **الحلية**، ٩، ٣٦٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ٩، ٣٦٨-٣٦٩.

(٦٦) ابن عربيّ، **الكوكب الدّرّيّ**، ١٢٣-١٢٤. انظر أيضًا:
Twinch, *Created for Compassion.*

(٦٧) ابن عربيّ، **الكوكب الدّرّيّ**، ٢٦٣.

تأتي استجابةً لجدالٍ كبيرٍ وقعَ حول شخصيّة ذي النّون العالمِ والشّيخِ والمربّي، وظلّت أصداؤُهُ تتردّدُ حتّى زمنِ التّدوين. وبالعودة إلى كلمة الفصل المتعلّقة بنصّ ابن خميس وتأريخ هذه القصّة، نخلصُ إلى افتراضِ تاريخينِ اثنين نناقشهما تباعًا.

نيسابور، مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد

يُحتمل أن تكونَ هذه القصّةُ قد انطلقت بدايةً في نيسابور وعلى صورةٍ شفهيّةٍ، وذلك في زمن الحاكم حين بدأت الحركة الصّوفيّة بالانتشار بين نخبة القوم في المدينة نظرًا لتقاربها من مذهب أهل الحديث. ولعبت الأُسَرُ العريقة في نيسابور دورًا هامًّا في نصرة بعض علماء الحديث، منهم البيهقيّ وابن فورك (ت ٤٠٦/ ١٠١٥) اللّذان قدما إلى نيسابور بدعوةٍ من الجهات الدّينيّة فيها.[٦٨] ففي ظلّ الاضطراب السّياسيّ الحاصل في عاصمة الخلافة، شكّلت خراسان ملاذًا لمختلف المجموعات الإسلاميّة التي وجدت فيها أرضًا خصبةً تضمنُ نماءَها واستمراريّتها (أمثال المفسّرين والصّوفيّة والأشعريّة...). ولقد تأثّر المتصوّفة في نيسابور بمذهبِ أهل الحديث، وساورَهم الشّكُّ والخوف عندما وجدوا أولي الأمر في المدينة بعيدين نسبيًّا عن الواقع الدّينيّ. ويبدو أنّ هذا النّصّ قد اكتسبَ شهرةً من خلال تداوله شفهيًّا، وإنّ بنيته الدّائريّة تدعم فكرة أنّه كان يُروى شفاهًا. كما تأثّرَ

(٦٨) انظر: Bulliet, *Patricians of Nishapur*.

المتصوّفة في نيسابور بالأدب كما تدلّ على ذلك أعمال عبد الكريم القشيريّ.[٦٩] غير أنّه من المستغرب - كما أشرنا سابقًا - أن لا يكون البيهقيّ قد أورد هذا اللّقاء أو بعضَ ما ورد فيه ضمن كتبه الجامعة. ولربّما يعودُ سببُ ذلك إلى أحدِ أمرينِ: أوّلهما أنّ البيهقيّ لم يثق بصحّة النّصّ (فلِمَ يتكبّدُ عناء نقله؟)، وثانيهما - وهو الأرجح - أن يكون النّصّ قد دُوِّنَ بعد وفاته، وزيد عليه اسم البيهقيّ ليُؤخَذ على محمل الصّدق.

القرن السّادس للهجرة/الثّاني عشر للميلاد:

يشير النّصّ إلى تهمةٍ محدّدةٍ تكرّرت على لسان رواته، وطالتِ المحدّثين الذين لم يفصلوا بين العلم والعمل، بل جعلوا علمهم بابًا لاكتساب لقمة العيش. وتعود هذه التّهمة إلى القرنين السّادس والسّابع للهجرة/الثّاني عشر والثّالث عشر للميلاد، عندما ظهرت أوّل وظيفةٍ رسميّةٍ للعلماء. ولكن لا ريب أنّ النّقد اللّاذع لأهل الحديث قد سبق ذلك بكثيرٍ. يوردُ أبو طالب المكّيّ (ت ٣٨٦/ ٩٩٨) في **قوت القلوب** مقولةً لبشر الحافي (ت ٢٢٦/ ٨٤٠ أو ٢٢٧/ ٨٤١-٨٤٤) يستنكر فيها على بعض المحدّثين سؤالهم المالَ مقابل الحديث، يقول: «عندما تسمعُ أحدهم يقول: «حدَّثَنا» فهو في حقيقة الأمر يقول: «أَوْسِعوا لي».[٧٠]

(٦٩) انظر: Sobieroj, *Die Responsensammlung*.

(٧٠) مكّيّ، **قوت القلوب**، ١، ٢٣٣.

يقول جورج مقدسي: «إنّ رواية الحديث بترخيصٍ رسميٍّ أدّت لا محالة إلى بعض الممارسات التي تبتغي الرّبح المادّيّ».[٧١]

اتّخذَ تعليمُ الحديث بعدًا مهنيًّا خلال القرن السّادس للهجرة/ الثّاني عشر للميلاد، بعد أن أُنشئت مدارسُ رسميّةٌ لتعليم الحديث، مثل دار الحديث النّوريّة التي أسّسها نور الدّين الزّنكيّ في دمشق عام ٥٦٦/ ١١٧٠،[٧٢] ودار الحديث الفاضليّة التي أسّسها القاضي الفاضل (ت ٥٩٦/ ١٢٠٠) عام ٥٩٣/ ١١٩٧. وقد شكّلت مثلُ هذه المدارس معلمًا مهمًّا في تاريخ المؤسّسات الإسلاميّة.[٧٣] يقول المقدسيّ:

> إنّ نشأةَ دورِ الحديثِ النّبويّ رفعت المحدِّثَ إلى رتبة الفقيه. فالمدارس فيما مضى كانت تدرّس الفقه فحسب. [...] ثمّ ظهرت دورُ الحديث لتجعل الفقه والحديث في المكانة نفسها.[٧٤]

واختلفت طرائقُ التّدريس الحديثةِ - بشكلٍ جذريٍّ - عن الصّورة المألوفة لتعليم الحديث:

> كان علماء القرآن والحديث زهّادًا بكلِّ ما للكلمة من معنىً، يتخلّون عن متاع الدّنيا ويتفرّغون لطلب العلم.

(٧١) Makdisi, *Rise of the Colleges*, 211.

(٧٢) أو في ٥٦٩/ ١١٧٤ استنادًا إلى المقدسيّ، المصدر نفسه.

(٧٣) انظر أيضًا: Dickinson, Ibn al-Ṣalāḥ al-Shahrazūrī.

(٧٤) المصدر نفسه، ٢١١-١٢.

> يقضون معظم أوقاتهم بين الدّراسة والتّدريس، في منازلهم أو المساجد، رافضين أيّ وصايةٍ لذوي النّفوذ عليهم خوفًا من أن تجبرهم تلك الوصايةُ يومًا ما على التّخلّي عن مبادئهم.[٧٥]

خلاصةُ القول إنّه يصعب تأريخ المادّة التي بين أيدينا، لكنّها مع ذلك تشكّل مصدرًا قيّمًا لدراسة العلاقة بين التّصوّف والحديث. وإنّ كلَّ مصدرٍ يؤرِّخُ لعالمٍ ما، من شأنه أن يخبرَ عن المكانة التّاريخيّة التي حظيَ بها خلالَ حقبةٍ من الزّمن. وعلى هذا، يكون الجزء مرآةً تعكس شيئًا من تلك الشّخصيّة المركّبة التي اكتسبَها ذو النّون المصريّ عبر السّنين.

(٧٥) المصدر نفسه، ٢١٢.

ملاحظات تقنيّة حول طبعة النّصّ العربيّة

إنّ نصّ المخطوط يضمّ العديد من الحركات التي تمّ تجاهلها عامّةً في هذه الطّبعة. وتُستعمل الحركات في نصّنا المطبوع لإزالة الغموض الذي قد يحيط بمضمون النّصّ وترشدُ القارئ إلى القراءة الصّحيحة. ومن هذه الحركات «الشّدّة» التي زيدت حيث ينبغي في هذا النّصّ ولكن لم تُرسم فوق الحروف الشّمسيّة. ومنها أيضًا «التّنوين» الذي لحق الأسماء المنصوبة كافّةً، والأسماء المرفوعة والمجرورة في بعض الأحيان. أمّا علامات الوقف كالفاصلة والنّقطة وعلامة الاستفهام فقد ظهرت في بعض الجمل التي استدعت إيضاحًا للمعنى. وتمّ الفصل بنقطتينِ بين أسماء بعض الشّخصيّات وأقوالها. هذا مع الإشارة إلى مطلع كلّ صفحةٍ ونهايتها بمعكوفين [ ]. وقد قسّمنا النصّ إلى أقسام ووضعنا عنوانًا لكلّ منها بين معكوفين.

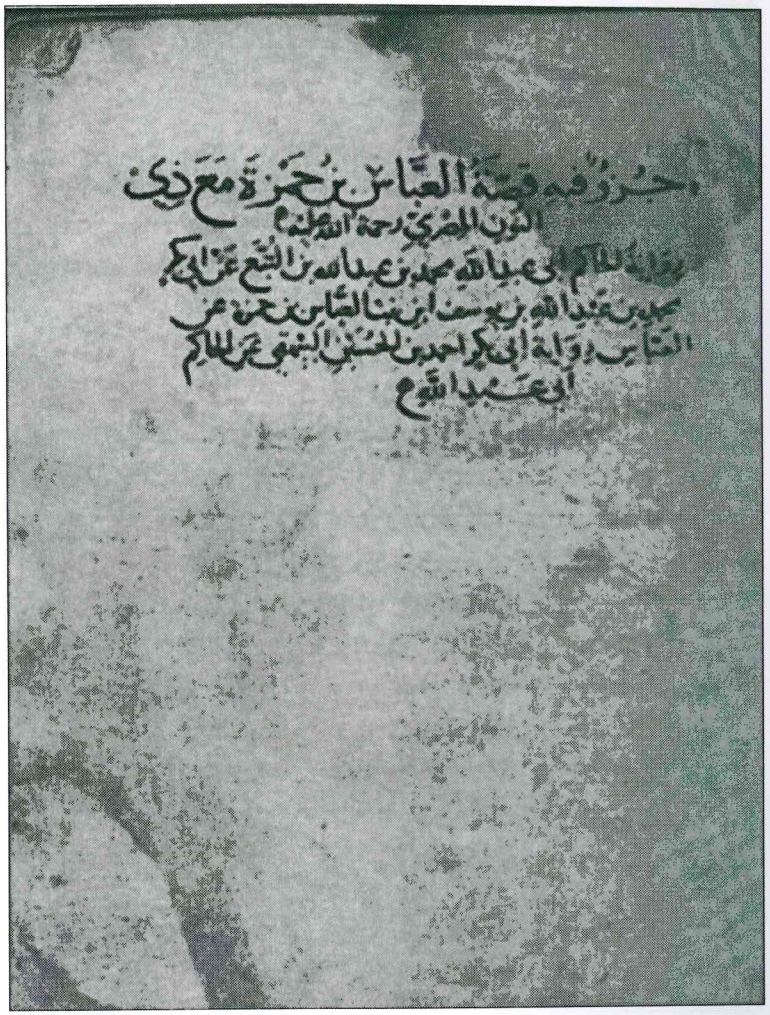

MS. Vollers 875, 59a

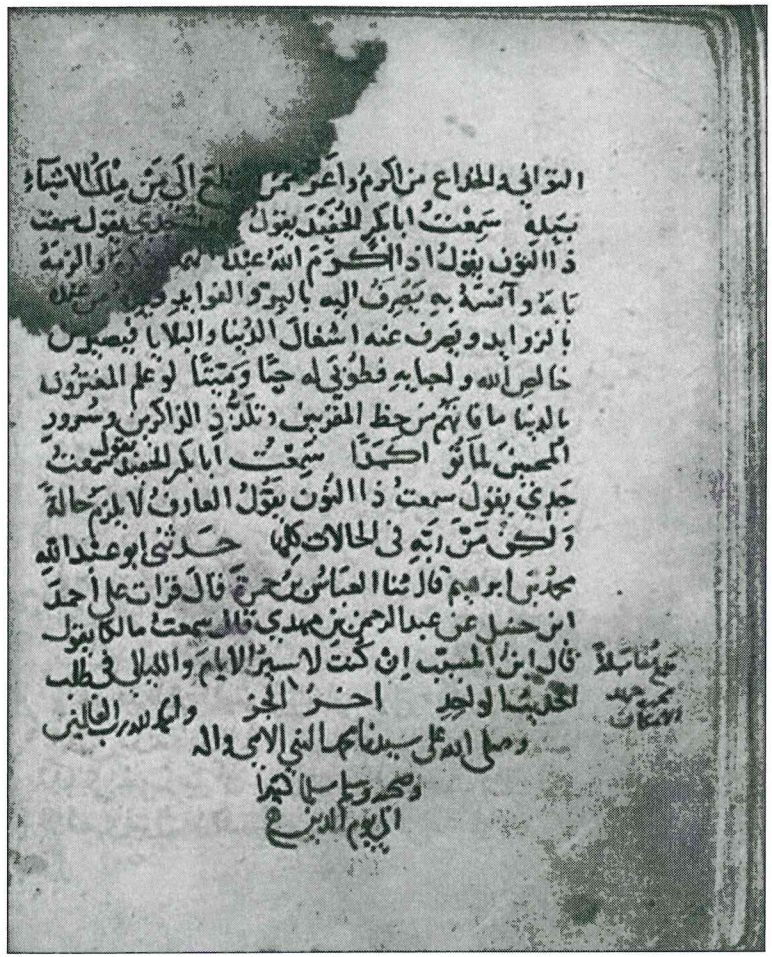

MS. Vollers 875, 71b

[٥٩أ] جزء فيه قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النون المصريّ رحمة الله عليه

رواية الحاكم أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن البيِّع(٧٦) عن أبي بكر محمّد بن عبد الله بن يوسف ابن بنت العبّاس بن حمزة عن العبّاس رواية أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ عن الحاكم أبي عبد الله.

[٥٩ب] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[العبّاس بن حمزة وذو النون المصريّ]

قال أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ إجازةً قال: أنبأ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله البيّع(٧٧) الحاكم النيسابوريّ قراءةً عليه وأنا أسمع قال: سمعت أبا بكر محمّد بن عبد الله بن يوسف ابن بنت العبّاس بن حمزة غير مرَّة يقول: سمعت جدّي أبا الفضل العبّاس بن حمزة يقول: دخلت على ذي النون المصريّ رحمه الله تعالى وعنده نفرٌ من المريدين وقد ذهب بهم الفِكْر وكأنّ على رؤوسهم الطير هيبةً له فانتفعتُ برؤيته من قبل أن أجلس، فسلّمت عليهم فردَّ السلام.

ثمَّ قال: اللهمَّ كما جمعتنا على ذكرك فلا تخزنا بعذابك يا

(٧٦) في الأصل: التبّع.
(٧٧) في الأصل: التبّع.

الله، واجعلنا من أحبَّائك وأَشْغِلنا بخدمتك، ثمَّ سكت فقال له بعضهم: تُوصينا بوصيّة تنفعنا بها، فقال: تؤثرون الله على جميع الأسباب، استعملوا الصدق فيما بينكم وبينه، وأحبّوه بكل قلوبكم، والزموا بابه واستغنوا به وتلذّذوا بذكره، وتوسَّدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه نُصْب أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنّكم لا حاجة بكم إلى الدنيا، فلا بدَّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم عمّا لا يعنيكم، ولتحزُنْكم ذنوبُكم، وليكن افتخاركم بربّكم وفقركم إليه، وتواصوا بالحقّ وتعاونوا على طاعة [٦٠أ] ربّكم، وكونوا من خالص الله تسلموا ويسلم منكم الناس وتنالوا غدًا مُناكُم.

ثمّ قال: أستغفِرُ الله إنّ للكلام حلاوةً في الدنيا، وما أعظم مؤنة الكلام في الآخرة، لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ(٧٨)، فإذا قُبل غُبط صاحبه بالجزيل من الثواب على كلامه، والسلامة أولى بنا وفي دون ما قلت كفايةٌ لمن فهم، ولكن أين أصحاب الفَهْم، وأين أصحاب فَهْم الفَهْم، أجد قلبي يصلح على الخلوة والصمت وقلّة الأكل، وربّما كرهت أن أُسأل عن شيء أو أقول شيئًا، وربّما تاقت النفس إلى الجلوس مع أهل الذكر والقول بالذكر، أريد بذلك إحياءَ الذكر إيجابًا لحقّ الله تعالى عليَّ، وربّما أظنّ أنّ تركَ ذلك خيرٌ لي، ثمّ أقول: إن كان ترك ذلك خيرًا لي فإنّ جلوسي معهم خيرٌ لي، فأقول: لعلّ الله تعالى يغفر لي بسببهم،

(٧٨) الأحزاب: ٨.

وإن كان غير ذلك فهل عسى أن يكون عطفٌ واحدٌ فيه نجاة بشر كثير، وكأنّ نور هذا الشأن قد طفي، وقلّ أعوانه ومستحقّوه ومريدو ما عند الله، وقد كان لهذا الأمر زمانٌ، وقد كان له أهلٌ، فقد فُقدوا وصار مريد الخير في الدنيا غريبًا، وإن كان لا وحشة على ذاكر الله عزّ وجلّ، إنّ الخلوة بالله تعالى من آلة القوم، والاجتماع على ذكر الله تعالى من علامة افتقار القوم إلى الله عزّ وجلّ، وبذلك النصيحة لله من علامة حبّهم لله عزّ وجلّ. ثمّ قال: أين أولئك؟ هم [٦٠ب] نور البلاد وهم أعزّ الخلق وأقلّهم، فإن وجدتم أحدًا منهم فالزموه. اللهمّ لا تبقني بين أقوام لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ويذلّون أهل طاعتك، ويُعزّون أهل معاصيك، ولا يتعاونون على ذكرك، ويرضون بالدنيا عوضًا من الآخرة.

ثمّ أطرق مليًّا ولا يقول شيئًا والقوم سكوت، فقلت له: أكرمك الله تعالى حدّثني بحديث لعلّي أنتفع به وأذكرك به، فرفع رأسه ونظر إليّ وقال: أنت تكتب الحديثَ، قلت: ربّما فعلت ذلك، ورجوت أنّك تحدّثني حديثًا في الرقاق يكون عونًا على هذا المذهب. فقال: إنّ للحديث رجالًا ولي شغل بنفسي عن الحديث، وإنْ كان الحديثُ من أركان الدين، ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم، ولكن بذلوا علمهم لأهل الدنيا لينالوا دنياهم، وأذلّوا أنفسهم وساؤوا علمهم، وهانوا على الراغبين فحجبوهم، وتكبّروا عليهم وجعلوهم خولًا لهم، وافتتنوا بالدنيا لِما رأوه من حرص أهل

العلم والمتصنّعين من القرّاء على الدنيا والمنزلة عند أهلها. يا أبا الفضل، إنّ القوم طلبوا الآخرة بعلمهم، وخافوا أنّهم لا ينالونها[٧٩]، وهؤلاء طلبوا الدنيا بعلمهم، وموّهوا على النّاس ليظنّوا أنّهم يطلبون بعلمهم ما عند الله، فجعلوا العلم فخًّا للدنيا، فما أقبح هذا [٦١أ] شيئًا يُطلب به الباقي كسبوا به الفاني، اللهمّ لا بقي، فلا تجعلنا منهم، لو أنّهم لزموا باب ربّهم لكفاهم وأعزّهم، ولكنّهم انقطعوا إلى المخلوقين فوكلهم إليهم وأذلّهم، لو رجوا الله لم يرجوا أحدًا، ولو خافوا الله لم يخافوا أحدًا، ولو انقطعوا إلى الله تعالى لم يذلّوا أبدًا، لقد جهلوا بعد علمهم، وافتقروا بعد غناهم، وذلّوا بعد عزّهم، وصاروا عبيدًا لأهل الدنيا وملوكها، بعدما جعلهم الله أحرارًا يداوون المرضى، شربوا بكأس المغترّين شربةً قد ذهبت بقلوبهم، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، إنّ الناس إلّا قليلًا منهم قد افتتنوا بهم، وقد أُعجبوا بأنفسهم حتّى كانوا ينتقصون أهل الحسنة والإرادة، فمن رغب في الحديث والفقه والحكمة وطلب الآخرة نصيحة لنفسه وللخلق، وزاد علمه تواضعًا واجتهادًا في خدمته، يصون علمه ويَزينه بفعله وخشيته وأعماله، ولا يصير عارًا على العلماء فبخٍ بخٍ ما أحسن طلبه وبذله، وإنّما يُكره من ذلك أن يكون الطلب والبذل للدنيا لا للآخرة، إنّ العلم سلاح للدين، فإذا طلبت به الدنيا صيّرته سلاحًا للدنيا. ثمّ قال لي: لقيتَ المسيّب بن واضح، فقلت له:

(٧٩) كذا في الأصل، وصوابه: ينالونها.

نعم ومن رأيي أن ألقاه أيضًا إن شاء الله. قال: فإذا لقيته فاسأله يحدّثك حديثًا [٦١ب] رواه لنا عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوريّ عن الحسن رضي الله عنهم، فإنّي أكره أن أكون محدّثًا. فقلت له: أسمعه منك أحبّ إليّ، ولعلّي لا ألقاه، فقال لهم: انظروا إلى الشابّ ما أحرصه على طلب هذا الشأن، فإنّي أجد له في قلبي موقعًا ورقّة، اللهمّ اصنع له وبلّغه أمله، قد طال مجلسنا ونعود إن شاء الله عزّ وجلّ.

[يوسف بن أسباط]

فغدوت عليه من الغد فقال لي: أسرعتَ الرجوعَ، فقلت له: خفت أن تفوتني، فقال: لم يكن ليفوتك إن شاء الله تعالى وأنت تريده. فقال لي: ركعتَ؟ قلت: لا، قال: اركع ركعات، فركعت ركعات وركع هو ركعات، تعجّبت من خشوعه وهيبته، وسمعت وقع دموعه على الحصير، فلمّا سلّم دعا بدعوات ودعا لأهل السماوات والأرضين بخير، ثمّ قال لي قل للسجّان لا يأذن لأحدٍ عليّ، فقلت له، فقال نعم، فرجعت إليه وقال: حدّثني المسيّب ابن واضح قال: أتيت يوسف بن أسباط ليحدّثني، فوجدته كئيبًا حزينًا متفكّرًا، فجلست قريبًا منه، فلمّا سُرّي عنه نظر إليّ فقال لي: ما جاء بك، فقلت: تحدّثني رحمك الله، قال إلى كم يكتب الرجل، فمتى يعمل، هذا زمان تضرّع ودعاء، سبحان الله ما أغفلنا عن الموت الذي لا بدّ منه، إنّك في خدمة الله وطيب المطعم والملبس وذكر الموت ومجالسة الذاكرين كأنّك قد رأيت

نفسك في الآخرة وعاينت الثواب والعقاب ما تسمعه اليوم، ثمّ لا يردّ [٦٢أ] إلى الدنيا ليتوب أو يعمل، كيف يأمن مَن الموت في طلبه، أو كيف يستريح مَن ينظر إلى سرعة مرور أجله، أم كيف يفتر من طاعة الله وهو يراه، إذا طلبت العلم فاطلب من العلم العمل، إنّما قَبُح الجهل لمفارقة العلم إيّاه، وكذلك لا يَحْسُنُ العلمُ إذا فارقه العمل، إنّ من الناس ناسًا يتزيّنون بالعلم ويزيّنون، ومنهم من يتزيّن بالعلم ويشين العلماء، ومنهم من يُشينه العلم ويشين هو العلماء، وكذلك الحكمة والقضاء، وإنّما يأتي ذلك من قِبَل صلاح القلب وفساده وطول الأمل وقصره ونسيان المعاد وذكره ودناءة الأنفس وكرمها، إذا اشتغلتم بالوصف فلا تنسوا الموصوف، وإنّما يُطلب بالوصف رضا الموصوف وحبّه واشتغالًا بخدمته، فإذا لم يكن كذلك فطال وقته بوصفه عند عبيده، ويقيم على معاصيه، فما أقلّ حظّه وأعظم فضيحته، والله المسلّم برحمته عامّة هذا الخلق، كأنّهم أيقنوا ثمّ شكّوا إلّا مَن امتحن الله قلبه للتقوى وأخلصه بهمّ الآخرة، وقليل ما هم، سلْ ربّك أن ينوّر قلبك حتّى تفهم ما يَرِد عليك من مذاهب أوليائه وما تسمع من الحديث، وإلّا فما يغني عنك أن يكون في يدك قوس وسهام والعدوّ قد أقبل عليك وأنت لا تحسن الرمي، فيصير سلاحك عدّة لعدوّك، والقليل من السلاح [٦٢ب] إذا كنت بصيرًا بالمحاربة ينفعك، فكذلك العلم من الفقه والحكمة والحديث، وهل بقي إلّا القليل ممّن يحسن أن يُعلّم أو يتعلّم ولا يضيّع دين الله على كل حال، يحفظ الأوّل على الآخر، وتارك العلم أشقى

من تارك العمل والعلم، لأنّ العلم ربّما جذب صاحبه جذبةً فيقيمه على منهاج الصادقين، وإن كان بعد ذلك يعدّ من البطّالين، وأهل العلم في كل زمان هم نبلاء الرجال، قد أوجب الله تعالى حقّهم على جميع الناس لأنّهم أمناء الرسل، فلا ينبغي لهم أن يخونوا ويغشّوا، بل يجب عليهم أن ينصحوا ويتواضعوا وينظروا كيف يكونون فيما بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه، ولا يطلبوا بعلمهم حطام الدنيا ويطلبوا به الثواب من الله عزّ وجلّ.

إنّ العالم هو الخاشع المتواضع الحليم الزاهد في الدنيا، المستغني بربّه عن خلقه، يعلم ما أُعطوا وما أُعطي، فيشكر ربّه، ويكون للخلق كالوالد الشفيق، يقول بعلمٍ ويسكت بعلم، ويعلم أنّه مسؤول عمّا يقول، ويفتي فلا يبيع حظّه من الآخرة بحظّه من الدنيا، ولا يرضى بمنزلته عند أهل الدنيا، كأنّهم أموات في دورهم والعاقبة للمتّقين. إنّي لأرحم طلّاب العلم والخير في هذا الزمان، ما أقلّ أعوانهم وأكثر أعداءهم، اللهمّ انصرهم ولا تخذلهم.

ربّما أقول: لا أحدّث لما قد ظهر من [٦٣أ] الفساد، ثمّ أقول: أخاف أنّه لا يحلّ في هذا الزمان كتمان الحديث لما قد دخل على الناس من مضرّة الجهل وميلهم إلى حبّ الدنيا وتركهم ذكر الله تعالى ومجالس الذاكرين وغلبة أهل البدع، أحدّثك بحديث انتفعتُ به لعلّه أن ينفعكَ، ولا أظنّ أحدًا يسمع بهذا الحديث إلّا انتفع به، إلّا أن يكون محرومًا.

[سفيان الثوريّ]

كان سفيان الثوريّ رحمة الله عليه ورضوانه قد انقبض عن الحديث في آخر عمره، لمّا أنّه كان يُطلب، واستوحش من الناس لما ظهر عليه من جور الأئمّة، فلم يكن يحتمل ذلك، ربّما كان يغتمّ ممّا يسمع ويخاف الله تعالى فيبول الدم ويقول: إنّما أهرب منهم مخافة أن يكرموني فيفتنوني، وكان إذا أكل ربّما وثب إلى الصلاة ويقول: إذا علفت الحمار فكُدَّهُ، وكان يقول: ويلٌ للظلمة وويلٌ لأعوان الظلمة، وويلٌ لمن خالطهم وواكلهم ووازرهم، أو برى لهم قلمًا، أو لاقَ لهم دواةً، يُحشرون غدًا معهم وتحت رايتهم.

وكان يقول: لو علمت أنّهم يقبلون منّي لأمرتهم ونهيتهم، ولكن أخاف أن يفتنوني عن ديني، وكفى بهربي منهم إنكارًا منّي عليهم. وكان يقول: أتى عليّ زمان وإنّ عامّة العوامّ إلّا القليل منهم يجانبون السلطان، واليوم [٦٣ب] أرى العلماء يخالطونهم، فلو أمروهم لكان ترك ذلك خيرًا لهم، فكيف بهم إذا انحطّوا في أهوائهم وطمعوا فيما عندهم.

دخلت على سفيان الثوريّ يومًا وعنده نفر من أصحاب الحديث يسألونه أن يحدّثهم وهو يأبى عليهم، فقلتُ: إنّك تُؤجر على ذلك، فقال: ليت أنّي أَسلم من هذا الأمر كفافًا لا يكون لي ولا عليّ، كيف أنشط للحديث وأنا أعلم أنّ الله تبارك وتعالى يسألني عن كل حديث حدّثتُ به ما الذي أردت به، وعن كل

مجلس جلسته ما الذي أردت به، ولولا مخافتي من الله تعالى لم أحدّث أحدًا، وأين من يطلب الحديث لله ومن يحدّث لله، كان الرجل يسمع الحديث والحديثين أو الباب من الفقه فيصير بذلك عالمًا فقيهًا، واليوم كلّما ازداد حديثًا وعلمًا وحكمة ازداد تجبّرًا وللدنيا حبًّا ومال إلى أهل الدنيا، كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه للدنيا بغضًا ولها تركًا، واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبًّا ولها طلبًا، كان الرجل ينفق ماله على علمه، واليوم يكسب بعلمه، كان يُرى على صاحب العلم الزيادة في باطنه وظاهره، واليوم يُرى على كثير من أهل العلم فسادُ الباطن والظاهر، لو علمت أنّ ببعض البلدان رجلًا [٦٤أ] يريد هذا العلم لله تعالى لكنتُ أوجبت على نفسي أن آتيه حتّى أحدّثه، وإن لم يجئني حقّه وحرمته لو طلبوا الأمر من وجهه، أما بلغك ما قال الله عزّ وجلّ لداود عليه الصلاة والسلام قال: يا داود إذا رأيتَ لي طالبًا فكن له خادمًا،(٨٠) وحديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرًا، وطلب العلم فريضة وقد أخذ الله تعالى ميثاق العلماء أن يعلّموا الجهّال من قبل أن يأخذ ميثاق الجهّال أن يتعلّموا من العلماء، ولكن قد تبيّن فساد هذا الشأن واستخفّوا به وبأهله وجعلوا العلم بضاعةً وتجارةً يهدونه إلى

(٨٠) **قوت القلوب** لأبي طالب المكّيّ ١: ٢٤٤؛ **حلية الأولياء** لأبي نعيم الإصفهانيّ ١٠: ٧٦، ١٠: ١٩٣؛ **شعب الإيمان** للبيهقيّ ١٢: ٣٣٧؛ **الرسالة القشيريّة** لأبي القاسم القشيريّ ٢: ٣٧٣.

الملوك وإلى الظلمة، وكنت أتعجب ممّن لا يحدّث فأنا اليوم أتعجب ممّن يحدّث، وكنت أتعجّب ممّن يتمنّى الموت فأنا اليوم أتعجّب ممّن لا يتمنّاه، وكنت أتعجّب ممّن يرغب في القوت مع قرب أجله، فاليوم أتعجّب ممّن ترك طلب القوت مخافةً عليه أن ينحطّ في حبائل القوم أو يحبّهم إذا وصلوه أو يحدّثهم طمعًا منه فيما عندهم، ولا سيّما إذا كان صاحب عيال، فما أقلّ ثبات أهل هذا الزمان مع العيال، فإنّ العيال من آلة الأقوياء، أما بلغك ما قال الله عزّ وجلّ لداود عليه الصلاة والسلام: يا داود ما بال الأقوياء وتناولِ الشهوات، فإنّي إنّما جعلت [٦٤ب] الشهوات لضعفاء عبادي، وكنت أتعجّب ممّن يترك بركة الاجتماع مع الناس، واليوم أتعجّب ممّن لا يخلو بنفسه، ومن أراد أن يكون الله له فليكن هو لله في السرّ والعلانية، فأحبّوا الله وتزيّنوا للعرض عليه، واعرفوا حقّه إذا خلوتم به، وأدّوا النصيحة إلى خلقه، وعليكم من الحديث ما ترقّ به قلوبكم، وما يقوّيكم على طاعة ربّكم، ويزهّدكم في الدنيا، ويبغّض إليكم المعاصي، فإنّ ذلك من آلة الموت، إنّ الموت يفسد كلّ نعيم في الدنيا ويُري العبد منزلته عند الله تعالى، وجميع ما عمل من خيرٍ أو شرٍّ لو أنّ عبدًا يهمّ بالموت وعرفه حقّ معرفته لشغله ذلك، إمّا مخافة وإمّا سرورًا حين يعلم أنّه يستريح من غموم الدنيا ومعاشرة أهلها، ويقدم على الله مؤمنًا مطيعًا أو مؤمنًا مذنبًا.

ثمّ قال: أتى النّهار يعمل عمله ونحن جلوس ونرجو أن يكون خيرًا، اللهمّ اجمعنا على خيرٍ ولا تخذلنا، وانفع بعضنا

ببعض، إنّ اللقاء حسن إذا كان لله، فاذكروا الله إذا اجتمعتم وانظروا لله، وخذوا أنفسكم بأداء حقوقه تفلحوا أو تُنصروا، واعلموا أنّ أكثر ما كنّا نلقى إخواننا في مجالس الذكر أو عند علمائنا، فإذا تفرّقوا اشتغل كلّ إنسان ببثّه ولزم بيته أو سوقه [٦٥أ] ، قوموا رحمكم الله فإنّ النهار يعمل عملَه.

فقلت له: حدّثنا رحمك الله ببعض ما علّمك الله ومنّ به عليك، فنظر إليّ كالمغضب فقال: شديدٌ على العبد أن تزيله عن هواه، إنّي ربّما أستوحش في نفسي فكيف أستأنس بغيري، إنّي ربّما أكره اجتماعكم عندي فأقوم من عندكم فبعد أيّام أشتاق إلى رؤيتكم والجلوس معكم، إنّكم تشهّون إليّ ذكر الله تعالى وأحفظ بكم الحديث إذا ذاكرتموني، ثمّ أهرب منكم إلى الخلوة فإنّ القلب يملّ كما يملّ الجسد، وفي الجملة ما الأنس إلّا في غيركم، وما الراحة إلّا في ترك مجالستكم، وما السرور إلّا في الخلوة والاشتغال بذكر الله تعالى، ولقد قلت لكم لولا ما أخاف من كتمان العلم لم أحدّثكم، فإنّ الحديث اليوم كاد أن يكون مشغلة عن الدين والدنيا، وإنّما كان ترك أهل الحديث والفقه بأعوانهم وممّن تُعرف حُرمته فقد خفت أن يندرس هذا الأمر ويغلب على الناس الجهل، وليس حسن الحديث أن يكثر، إنّما حسنه أن يظهر الفعل به، وأظنّه ليس في الحديث اليوم خير لأنّه في الزيادة وجميع الخير في النقصان، فلو كان خيرًا نقص كما نقص الخير، فقد نقص آلة الآخرة وزاد آلة الدنيا، فكيف [٦٥ب] ترى عيش المريدين بين أهل زماننا، وما بعد هذا الزمان لمن

أدركه أشدّ وأشدّ، حتّى إنّهم يتمنّون الموت لو كانوا في زماننا لما ينزل بهم من الظلم وقمع الحقّ وأهله وغلبة الباطل وأهله وخراب الأبدان والقلوب والبلدان من الطاعة والعمارة ويفشو فيهم القتلة والغارة والسبي وأكل الحرام وتعطيل الأحكام وقلّة الورع وكثرة المداهنة وقطيعة الرحم وميل العلماء إلى ملوك ذلك الزمان طلبًا منهم لعزّ الدنيا ومنالتها، فيكون هلاك الناس في ذلك الزمان على يدي أمرائهم وعلمائهم وملوكهم التاركين للحقّ، ويقلّ الصدق فيهم ويصير التقوى عندهم عارًا والفجور فخرًا، ويقلّد دنياهم سفّالهم، ويظهر حبّ الدنيا في خيارهم في أنفسهم، ويظهر القول ويقلّ الفعل، ويكثر الحرام ويَعِزّ الحلال، ويعيش المؤمن البصير بدينه بين ظهرانيهم كما يعيش الأسير بين ظهراني الكفّار وأذلّ من ذلك، ويموج الناس بعضهم في بعض، وينتقلون من بلد إلى بلد، ولا يجدون ملجأً ولا غياثًا، ويشتغلون بطلب المُلك عن محاربة أعدائهم من الكفّار، حتّى يطمع أعداؤهم أنّهم يغلبون على أرض الإسلام، فمن مات في ذلك الزمان مات بغصّته، ومن عاش عاش [٦٦أ] مقهورًا ذليلًا متحيّرًا، فمن مات حينئذٍ مؤمنًا فقد نال حظًّا عظيمًا، ومن عاش معهم فهو على خطر عظيم.

ثمّ بكى سفيان وقال: وكيف أنشط للحديث وأنا أرى ما أرى وأعلم ما أعلم، نخدع أنفسنا ونسوّف أعمالنا وقد دنا منّا آجالنا، ليت أنّ الشيطان لا يسخر منّا كما سخر ببعض العلماء وقال لهم: تدخلون على سلاطينكم فتأمرونهم بالمعروف وتنهونهم عن

المنكر، فلمّا صاروا إليهم ونظروا إلى بريق دنياهم خضعوا لهم وأعانوهم واحتملوا ذلّ ما نزل بهم بسبب ما نالوا من دنياهم، ولو أنّهم لزموا بيوتهم لصاروا أعزّ الناس في زمانهم ولكفاهم من الأمر والنهي الهرب منهم لبغضهم، حتّى كانوا يعلمون أنّهم شرّ الناس وأقلّهم لزهد العلماء وأهل الصلاح فيهم، فكانوا ينتفعون بذلك أكثر ممّا ينتفعون بأتباعهم وحديثهم، ولكنّ الطمع هو الصفاء الزلال، فزلّ بهم عن الحقّ وأوقعهم في البلايا، ما أبين نفع القلب الذاكر واللسان الصادق والبدن الصابر، وما أضرّ على العبد القلب القاسي واللسان الكاذب والبدن الكسل، وإنّما هي أيّام قلائل، فلو صبر العبد لقطع الدنيا وصار إلى الراحة [٦٦ب] والسرور، وما الدنيا بأهل أن تؤثَر على الآخرة وأن يُعصى الله تعالى بسببها، فإنّ من عرفها زهد فيها وأهانها، هو الذي ملكها وعمل فيها للآخرة، فعاش متلذّذًا بذكر الله تعالى، وخرج منها سالمًا إلى جوار الله تعالى، غُبن أهل الدنيا ولم يُغبن، وربح بيعه ولم يخسر، هم الأبطال الأكياس المنقطعون إلى الله عزّ وجلّ في كلّ الأحوال، أهل الصدق والإخلاص والمحبّة لله عزّ وجلّ والتوكّل عليه في الرضا بقضائه، جعلوا همّهم في خدمة الله تعالى، وسرورهم في ذكر الله تعالى، وفوّضوا أمورهم إليه كأنّهم يعاينون الآخرة بقلوبهم، وكأنّهم ينظرون إلى الدنيا بأعينهم، عموا عن الدنيا فأبصروا الآخرة، فعملوا على قدر ذلك، وعلموا أنّه ليس من الله عوض، ولا من تقواه خلف، لقد رأيت منهم طوائف شبّهتهم في الاستقامة بالقداح، كنت إذا رأيتهم تصاغرت إليّ

نفسي، وذكرت آخرتي، كأنّهم ينظرون إلى الموت وقد أقبل نحوهم، وكأنّهم ينظرون إلى الله سبحانه استحياءً منه ونصيحة له، فاليوم مع مَن نجلس، أو مَن يجلس إلينا، مَن نشتغل به، أو يشغلنا عن ربّنا، لذلك ثقل عليّ الحديث وطلّابه، ومع ذلك ربّما رجوت في بذل هذا العلم جزيل الثواب من الله تعالى، لقد طال غمّي واشتدّ حزني إذا تفكّرت في أهل هذا الزمان [٦٧أ] ، وفي طلّاب الحديث والفقه خاصّةً، فكأنّه قد طُفِئ نوره، وذهب حسنه وبهاؤه، وقلّ المتعاونون عليه، وصار عارًا بعدما كان فخرًا، ذهب نبل من يعلم ومن يتعلّم لغلبة حبّ الدنيا والتهاون بعمل الآخرة، قوموا رحمكم الله واشتغلوا بزاد الموت، فقد مضى زمان وإنّ الحديث من عدد الموت، وقد خفت اليوم أن يكون الحديث من عدد الدنيا.

ثمّ قال: سبحان الله، ما أسمح هذا شيئًا للآخرة تُبتغى به الدنيا، يقبح طلب الدنيا بآلة الدين فكيف يُطلب بآلة الآخرة. إنّ العلم عزيز فيُبْذِله بسبب شيء ذليل حقير ليعزّه، لقد جهل هذا العبد ورضي بالقليل من الكثير، وبالفاني من الباقي، كانوا أصحاب الحديث فيما مضى نورًا، فقد خشيت أنّهم اليوم ظلمة، وكانوا شفاء الصدور، فقد صاروا غيظًا للقلوب، ثمّ بكى وبكوا، ثمّ دعا وقال: يا ربّ إنّ لك في كل حين وزمان خواصًّا وأنصارًا لدينك، يظهرون الحقّ ويحتملون فيك أذى كلّ مؤذٍ[٨١] ويفزعون

(٨١) في الأصل: مؤذي.

إلى أهل ذكرك ويذكرونك، ويذكّرون بك الملائكة جلساءهم، وفي الحقّ إرادتهم، وطلب رضاك عنهم بغيتهم، لا يضرّهم خذلان من خذلهم، ولا موالاة من والاهم، ولا تزيلهم الشدائد عن دينهم، ولا تغرّهم الدنيا وسرورها عن معرفة أنفسهم [٦٧ب]، وعن تأدية حقوقك، وعن الشكر لك على ما أوليتهم، فزيّنت بلادهم بهم، وآنست أقوامًا هم بين أظهرهم وسائر البلدان، والناس وحشية مظلمة مستوحشون، فاجعلنا منهم وقيّض لنا مؤدّبين وصحابة أمثالهم، ثمّ سكت طويلًا كالمتفكّر فجعلت دموعه تسيل على خدّيه ولحيته ويَسقط على الأرض.

[الحسن البصريّ]

ثمّ قال: أحدّثكم حديثًا لعلّ الله يحيي به قلوبكم، فإنّ القلب يموت كما يموت الجسد، اعلموا أنّي قلّ ما أذكر هذا الحديث إلّا انتفعت به، حدّثني بعض أصحابنا أنّ الحسن البصريّ رحمه الله امتنع أيّامًا عن الحديث واشتغل بالخلوة، فاجتمع إليه أصحاب الحديث وبعض المختلفة من أهل الذكر وعاتبوه في ترك الحديث ومجالس الذكر، فقال لهم: أمّا مجالس[٨٢] الذكر فقد اشتقت إليها ليُرى أهلها معانون محفوظون مكرّمون مغفور لهم، وأرجو أن يُستجاب لهم ولا يرجعوا[٨٣] من عند ما هو لهم إلّا بقضاء حوائجهم، وهم حصن حصين للعباد من البلايا، بهم

(٨٢) في الأصل: مجلس مجالس.
(٨٣) في الأصل: يرجعون.

يصرف الله تعالى العذاب عن أهل الأرض، وهل بقي من الدنيا نورٌ إلّا مجالس الذكر وأهل الذكر، إنّ المقرّب من قرب من الذكر، والخائب من فاته حظّه من الذكر والبكاء والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ، وإنّ نور مجالس الذكر أضوأ من نور الشمس [٦٨أ] في الدنيا، ولو علم الناس فضل ذلك لتركوا صناعاتهم وإماراتهم وجميع أشغالهم رغبة منهم في ذلك، ولكن شغلهم طلب الدنيا الفانية عن طلب الآخرة الباقية، فعوّضوا التعب والذلّ وعمى القلب، طلبوا العزّ والراحة فأخطأوها، إنّما العزّ والراحة هناك، ولو سمعوا صوت الرحيل لاشتغلوا بالزاد، لأنّ أوّلهم قد حُبس على آخرهم، فكيف يلهون ويلعبون وبالله التوفيق. وأمّا الحديث فكأنّي قد مللته وقد كبر سنّي ورقّ عظمي، وذكر الآخرة والموت والجنّة والنار والقيامة والبكاء والتضرّع والدعاء ومجالسة أقوام يعينوني على التأهّب للموت ويصغّرون الدنيا في عيني أشهى عندي وأقرّ لعيني من مجالستي لأصحاب الحديث.

ثمّ قال الحسن: بلغني أنّ الله تبارك وتعالى قال لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: يا إبراهيم إنّما أتّخذ لخلّتي من لا يفتر عن ذكري، ولا يكون له أنيس غيري، ولا يؤثر عليّ شيئًا من خلقي، مَن إن أُحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعًا، وإن قُطع بالمنشار لم يجد لمسّ الحديد ألمًا، فمجالسة الله أشفى من مجالستكم، وذكر الله أشهى إليّ من ذكركم، وإيناسي بربّي آنس لي من اجتماعكم، فإنّ ذلك دواءٌ لا داء فيه، وما نحن فيه ممزوج [٦٨ب] إلّا القليل منه، وربّما كان داءً لا دواء فيه، فذاك

الذي أخاف على نفسي وعليكم، ولولا ذلك لم يكن شيء أزين من الحديث وإنّما شأن الحديث أوعية غير طيّبة، وحملة سوء أخذوا هذا العلم عن غير أهله، وحملوه إلى غير مستحقّيه، وذلك من دناءة أنفسهم وقلّة عقولهم، تعجّلوا بعلمهم الدنيا دون الآخرة، ورضوا بها عوضًا من الآخرة، فصاروا خدّامًا لها دون خدمة ربّهم، فضيّعوا الكثير ولم يَدُم لهم القليل، بالعلم أبصر الماضون، وهم بالعلم عموا عن الحقّ، وبالعلم اهتدى من مضى من السلف، وهم بالعلم تحيّروا فعُوّضوا على ذلك عماء القلوب، وفترة عند العبادة يجدونها في أبدانهم، مع أشغال كثيرة وتعب غير قليل، فنعوذ بالله ممّا ابتُلوا به، ونسأله منهاج أوليائه، والاشتغال بذكره، والحبّ لأهل طاعته، والبغض لأهل معاصيه، ونعوذ بالله من طول الأمل، فإنّ طول الأمل ينسي الآخرة، ويسيء به العبدُ العملَ، لقد رأيت أقوامًا وإنّ الرجل منهم إذا تعلّم الحديث الواحد يُرى ذلك عليه وعلى أهله وولده حتّى على خدمه وجيرانه وعلى كثير من إخوانه، فاليوم لا يُرى الكثير منه على صاحبه، وكان الرجل يُرى عليه القليل من الدنيا في تفضّله ومواساته وقَومِه على أهله وجيرانه وإخوانه [٦٩أ] وأضيافه، وفي وجوه البرّ اليوم لا يُرى على الرجل نفع الكثير مما أُعطي ولا غيره، كأنّه كلّما ازداد علمًا ازداد جهلًا وتوانيًا، وكلّما ازداد مالًا ازداد حرصًا وبخلًا، وكلّما ازداد من الموت قربًا ازداد للدنيا حبًّا، وللآخرة[٨٤] نسيانًا، وفي مباهاة الدنيا وأهلها وخدمته لها

(٨٤) في الأصل: والآخرة.

اشتغالًا، لأنّ القوم بين مقرّب ومطرود، وبين موفَّق ومخذول، ولله الحجّة على جميع خلقه، إنّ الراضي بقضاء الله تعالى قد تعجّل الراحة في الدنيا قبل أن يصير إلى الآخرة، وإنّ الساخط بقضاء الله تعالى قد تعجّل السخط والهموم في الدنيا قبل أن يُرَدّ إلى الآخرة، فكيف يأمن من لا يُؤمّن الناسَ شرَّه، وكيف يرجو فضل ربّه من يحرم الناس فضل ما أعطاه الله، وإنّ التارك لأمر الله لا يكاد يحبّ لقاءه، ومن لا يتّخذ الدنيا سجنًا لا يحبّ الموت، ولا بدّ له منه مطيعًا كان أو عاصيًا، وإليه الموعد والمنزل، إمّا جنّة وإمّا نار، ولكلّ عبد ما نوى وعمل، وإنّ المعاينة قد دنا، والعاقبة للمتّقين، والله وليّ المحسنين، وهو يحبّ التائبين، ويسأل الصادقين عن صدقهم، فما ظنّك بالكاذبين.

ثمّ بكى الحسن وبكى أصحابه وقال: لقد قست قلوبنا وذلك [٦٩ب] من كثرة ذنوبنا، قوموا فشمّروا فقد دنا الأمر والموت أقرب من ذلك، إنّ المؤمن شأنه عجيب، وإنّ الموت شديد، وأشدّ من الموت الفوت، وإيّاكم والتسويف، ولا تخادعوا ربّكم فإنّه من يخادع الله يخدعه، ومن يعمل له يجزه، فكأنّ قد فارقَنا ما نحن فيه واستقبلَنا رَوحُ الآخرة وغمومُها، إنّ الدنيا لها طلّاب من الحمقى، فكونوا من طلّاب الآخرة رحمكم الله، أليس قد قال الله عزّ وجلّ: وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ○ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ○ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٥٣: ٣٩-٤١)، فافهموا ما لكم ممّا

عليكم، وما الذي يبرز لكم غدًا، وما الذي ترون من أعمالكم، وأين ينطلق بكم، اعملوا بكتاب الله تعالى واقتدوا بنبيّكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وإيّاكم وكلّ حائد عن الحقّ يدعو إلى ضلالة، أو صاحب دنيا بها معجب يدعو إلى غروره، فلا تجيبوهم ولا كرامةً[٨٥]، فإنّ ذلّ المعاصي في رقابهم هم، ومن وازرهم على مذاهبهم أصغر الخلق غدًا، حسبهم جهنّم والله تعالى لهم بالمرصاد. فقام الحسن وقام أصحابه رضي الله عنهم من عنده قد أصيبوا بمصيبة أو وجدوا غنيمة خوفًا واستيسارًا، ثمّ رجعوا إليه من الغد فحدّثهم.

[المسيّب بن واضح والعبّاس بن حمزة]

فلمّا فرغ ذو النون من هذا الحديث بكى، وكان في خلال هذا الحديث ربّما يبكي وربّما صعق، فقال: يا أبا الفضل لقد حدّثتك بحديثٍ رجوت أنّك تنتفع به وينتفع به [٧٠أ] من يسمعه منك، فإذا لقيت المسيّب فاسأله أن يحدّثك به. قال العبّاس: فلمّا خرجت من مصر لم يكن إليّ همّة أكبر من لُقِيّ المسيّب بن واضح، وأتيت قريته، فإذا أنا به عند مداسة له، فسلّمت عليه وجلست إليه وأخبرته بقصّتي وقصّة ذي النون، وبالحديث وما حدّثني به عنه، وما قال لي سله أن يحدّثك به إذا لقيته، فقال: كيف تركت ذا النون، فقلت تركته في عافية ذاكرًا لله تعالى محزون القلب، فقال لي المسيّب: كيف قلت، فأعدت عليه،

(٨٥) ولعلّه: كراهةً.

فبكى وقال: ذهب الذاكرون والمحزونون بخير الدنيا والآخرة، وقد بقينا نحن كأنّا متحيّرين، تفنى أيّامنا ونُعَلّل بها حتّى يفجأنا الموت، وقد ضيّعنا حظّنا من ربّنا ومن آخرتنا بسبب دنيا لا تبقى لنا، فنرد القبور نادمين إلّا أن يغفر لنا مولانا. ثمّ قال لي: كيف تركت ذا النون وجئتنا، فقلت له: اشتقت إلى وطني ورغبت في شيء من الحديث. فقال لي: إلى متى الحديث، قد شغلنا الحديث عن كثير من منافعنا للدين والدنيا، ولكنّ فيه لعمري فضل عظيم إن عمل به صاحبه، نعم إنّ ذا النون لمّا سمع منّي هذا الحديث قال لي: إنّي أجعل هذا الحديث رأسَ مالي ومؤدّبي، ولو كان ذو النون من التابعين [٧٠ب] لكان بذكر ما رأيت شابًّا أذكى قلمًا منه، ولا أهيب منظرًا منه، ورجوت حين رأيته بركة رؤيتي إيّاه، وأرجو أن تكون حياته بركةً للخلق، وهو عندي من الصادقين حقًّا، أيّ شيء حدّثك، فقلت له: كتبت عنه حكايات له وكلام بعض الصالحين، فقال: استمسك بما سمعتَ منه، فقلت له: تحدّثني بالحديث، فقال نصلّي ونتفرّغ له، فلمّا صلّى صار إلى ناحية من قريته وحدّثني بهذا الحديث لم يغيّر منه شيئًا إلّا في موضعين أو ثلاثة كنت أنا أسقطته من حروفه، فلمّا فرغ قال: إنّي لم أحدّث بهذا الحديث إلّا ذا النون ونفرًا من المتقشّفة، إنّ أصحاب الحديث لا نراهم يرغبون في مثل هذا الحديث، وهل النفع إلّا فيما يُرقّ قلبَ الرجل ويبعثُه على العمل لله تعالى، وأنا أرجو أنّك تنتفع بهذا الحديث لما أرى في رغبتك في حديث الرقائق، فبارك الله لك فيه، فاذكرني في دعائك إن

شاء الله تعالى، وأنا أحدّثك في الرقائق عن بعض مشايخنا، وعن ابن المبارك ويوسف بن أسباط، وأتفرّغ لك إن شاء الله تعالى.

فلمّا سمعت هذا الحديث من المسيّب بن واضح وجدت قلبي يهتزّ فرحًا منّي بهذا الحديث، وقلت: لم يَضِع سفري وسماعي هذا الحديث عن ذي النون عن المسيّب، كاد أن يكون أشهى عندي من المسيّب [٧١أ] عن يوسف بن أسباط، لأنّ ذا النون كان عندي من عمّال الله تعالى، فبارك الله لنا ولك في هذا الحديث، وغفر لذي النون والمسيّب ولجميع المؤمنين والمؤمنات برحمته، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم.

[الحاكم النيسابوريّ]

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون المصريّ رحمة الله عليه ورضوانه يقول: عرف المطيعون عظمتَك فخضعوا، وسمع المذنبون بجودك فطمعوا.(٨٦)

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون المصريّ يقول، إنّ العارف استغنى بربّه فمن أغنى منه، فلذّته ذكره وإناخته بفنائه، فاستأنس به.(٨٧)

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون المصريّ يقول: من عرف قدر الدنيا كلّها لم يكن

(٨٦) **شعب الإيمان** للبيهقيّ ٢: ٣٤٧؛ **تاريخ دمشق** لابن عساكر ١٧: ٤٠٨، ٢٦: ٢٤٦.

(٨٧) **شعب الإيمان** للبيهقيّ ٢: ٤٩، ٢: ١٨٢.

لدنياه[٨٨] عنده قدر، ومن استأنس بشيء من الدنيا لم يجد ما في لذّة ذكر مولاه.

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون يقول: مَن عرف ربّه وجد طعم العبوديّة ولذّة الذكر والطاعة، فهو مع الخلق ببدنه وقد باينهم بالهموم والخطرات.[٨٩]

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون المصريّ يقول: هل تدري من تطلب ومن تعامل، ارفض [٧١ب] التواني والخداع، من أكرم وأعزّ ممّن انقطع إلى مَن مِلك الأشياء بيده.[٩٠]

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا النون يقول: إذا أكرم الله عبدًا ألهمه ذكره وألزمه بابه وآنسه به، يَصْرف إليه بالبرّ والفوائد، ويَمدُّه من عنده بالزوائد، ويصرف عنه أشغال الدنيا والبلايا، فيصير من خالص الله وأحبابه، فطوبى له حيًّا وميتًا، لو علم المغترّون بالدنيا ما فاتهم من حظّ المقرّبين وتلذّذ الذاكرين وسرور المحبّين لماتوا كمدًا.[٩١]

سمعت أبا بكر الحفيد يقول، سمعت جدّي يقول، سمعت ذا

(٨٨) في الأصل: لدينه.
(٨٩) **الزهد الكبير** للبيهقيّ ١: ١١١؛ **شعب الإيمان** للبيهقيّ ٢: ٤٩، ٢: ١٨٢.
(٩٠) **تاريخ دمشق** لابن عساكر ١٧: ٤٢١.
(٩١) **الزهد الكبير** للبيهقيّ ١: ٢٩٩.

النون يقول: العارف لا يلزم حالةً ولكن [يلزم] من ربّه في الحالات كلّها.[٩٢]

حدّثني أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم قال، حدّثنا العبّاس بن حمزة قال، قرأت على أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن مهدي قال، سمعت مالكًا يقول، قال ابن المسيّب: إنْ كنت لأسير الأيّام والليالي في طلب الحديث الواحد.[٩٣]

سمع مقابلة محمّد بن حميد الإسكاف

آخر الجزء والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبيّ الأمّيّ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين [٧٢أ].

(٩٢) **الزهد الكبير** للبيهقيّ ١: ٢٩٨؛ **طبقات الصوفيّة** للسلميّ ١: ٢٦؛ **حلية الأولياء** ٩: ٣٩٥.
(٩٣) **الطبقات الكبرى** لابن سعد ٢: ١١٨، ١٢٨؛ **الحثّ على طلب العلم** لأبي هلال العسكريّ ٦١؛ **الرحلة في طلب الحديث** للخطيب البغداديّ ١٢٧؛ **تاريخ الإسلام** للذهبيّ ٦: ٢٠٦.

فهرس الآيات

الآية	السّورة	الصّفحة
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ	الأحزاب ٨	٣٨
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٥ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٥ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ٥ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ٥ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ	النّجم ٣٨-٤٢	٢٣

فهرس الحديث

أشدُّ النّاسِ بلاءً الأنبياء، ٢٩

ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام، ٢٩

سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرًا، ٤٥

من تواضعَ للهِ رفعَهُ الله، ٢٩

فهرس الأعلام

إبراهيم الخليل (عليه السلام) ٥٢

ابن إبراهيم، محمّد ٥٩

إبستاين، مايكل ١١، ١٥، ١٦، ٢٨، ٢٩

ابن أبي الليث، محمّد ١٥

ابن البيِّع ٣٧

ابن تيميّة ٩

ابن خميس الموصليّ ٢٦، ٣٠

ابن عربيّ ٢٦، ٢٩

ابن عساكر ١١، ١٤

ابن فورك ٣٠

ابن المبارك ٥٧

ابن نُجَيد ٩

أبو بكر الحفيد ٥٧، ٥٨

أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يوسف ١٤، ١٥، ٣٧

أبو سعيد بن الأعرابي ٦

أبو طالب المكّيّ ٣١

أبو نُعيم ٢٥، ٢٩

أحمد بن حنبل ١٧، ٥٩

الأزديّ الأندلسي، أبو محمّد ١٠

إسرافيل ١٥

الأشعث، عبد العلي ٩

الأنصاريّ ١٧

بشر الحافي ٣١

البيهقيّ ١٣، ١٤، ١٥، ٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٧

تيبون، جان جاك ٧، ٢٦

جعفر الخلدي ٦

الجُنيد ٥، ٦

الجوهري، محمّد بن الحسين ٢٦

الحاكم ابن عبد الله النّيسابوري ١٣، ١٤، ٢٥، ٣٠، ٣٧، ٥٧

الحسن البصريّ ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٥١ ٥٢، ٥٤، ٥٥

الحلية ٢٩،

الخدريّ، أبو سعيد ٤٥

داود (عليه السلام) ٤٦
الذّهبي ١٤
ذو النّون المصريّ ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩
رادتكه، برند ٧
الرّوذباري، أحمد بن عطاء ٦
الرّوذباري، أبو عليّ ٧
السّرّاج ١٦، ١٧
السّريّ السّقطيّ ٦
سزكين، فؤاد ١٠
سعيد بن المسيّب ٥٩
سفيان الثوريّ ٢٠، ٢١، ٤١-٤٣، ٤٤، ٤٨
السّلميّ ٧، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٥
سوبيروج، فلوريان ١٧
الضعيف، الحسن ٢٧
العبّاس بن حمزة ١١، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٧، ٤٠، ٥٥، ٥٩
عبد الرحمن بن مهدي ٥٩
عبد القادر، حسن ٥
العمادي الحنفي ٩
فولرز ٨، ٩، ١٠
القاضي الفاضل ٣٢
قرامصطفى، أحمد ٥
القُشيريّ ٧، ٣١
كنيش، ألكسندر ٢٧
مالك بن أنس ٥٩
مايير، فرتز ٢٢
المتوكّل ١٢، ١٨
المحاسبي ٦
محمّد بن حميد الإسكاف ١٠، ٥٩
المسيّب بن واضح ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٤٠، ٤١، ٥٧
المقدسيّ، جورج ٣٢
النّاجي الحلبي، برهان الدّين أبو إسحاق ٩
النّبيّ (عليه السلام) ٦، ٧، ١٨، ٢٣، ٢٩، ٤٥، ٥٥، ٥٩
نور الدّين الزّنكي ٣٢
الواثق بالله ١٦
يوسف بن أسباط ٢٠، ٢١، ٤١، ٤٣، ٥٧

فهرس الأماكن

إخميم ١١
بغداد ١٧
الجيزة ١٢
حمص ٢٣
خراسان ٣٠
دار الحديث الفاضليّة ٣٢
دار الحديث النّوريّة ٣٢
داريّا ٩
دمشق ٣٢
سامرّاء ١٢
سوريا ١١، ٢٣
الفسطاط ١١، ١٢
قرافة الصّغرى ١٢
لايبزغ ٥، ٨
مصر ١٨، ٢٣، ٥٥
نيسابور ٣٠، ٣١

فهرس الكتب

الأمالي في الحديث ٦
تاريخ التراث العربيّ ١٠
جزء فيه قصّة العبّاس بن حمزة ٨، ١٣، ١٦، ٣٧
حلية الأولياء ٢٥
ذكر محن المشايخ الصّوفيّة ١٦
الروضة الرّيّا فيمن دُفن في داريّا ٩
الزهد الكبير ١٥، ٢٥
شعب الإيمان ١٥، ٢٥
صحيح البخاريّ ١٠
الصفات الاختياريّة ٩
طبقات الصّوفيّة ٢٥
الفوائد في الزّهد ٦
في معنى الزّهد والمقالات وصفة الزّاهدين ٦
قصّة العبّاس بن حمزة مع ذي النّون المصريّ ١٠، ١٣، ١٧
قصيدة في ختم البخاريّ ١٠
قوت القلوب ٣١
كنز الرّاغبين العُفاة ٩
الكوكب الدّرّيّ في مناقب ذي النّون المصريّ ٢٦
اللمع ١٦
مصر ١١، ١٥، ١٦
مناقب الأبرار ٢٦

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

ابن **الأعرابيّ**، **كتاب في معنى الزّهد والمقالات وصفة الزّاهدين**، تحقيق خديجة محمّد كامل، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٩٩٨.

ابن خميس، **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**، تحقيق سعيد عبد الفتّاح، جزءان، بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٦.

ابن سعد، **الطّبقات الكبرى: متمّم الصّحابة**، جزءان، الطّائف: مكتبة الصّدّيق، ١٩٩٣.

ابن عربيّ، **الكوكب الدّرّيّ في مناقب ذي النّون المصريّ**، ضمن **رسائل ابن عربيّ**، تحقيق سعيد عبد الفتّاح، بيروت: مؤسّسة الانتشار العربيّ، ٢٠٠٢.

ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عليّ شيريّ، ٨٠ جزءًا، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥-٢٠٠١.

أبو نعيم الإصفهانيّ، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠ أجزاء، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٨.

البخاريّ، **الجامع الصّحيح**، تحقيق يوسف الحاجّ أحمد، القاهرة: مكتبة دار العلم الحديث، ٢٠٠٥.

البيهقيّ، **الزّهد الكبير**، تحقيق عامر أحمد حيدر، بيروت: دار الجنان ومؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ١٩٨٧.

ـــ ، **شعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، بومباي: مكتبة الرّشد، ٢٠٠٣.

الخطيب البغداديّ، **الرّحلة في طلب الحديث**، تحقيق نور الدّين عتر، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

الخلديّ، أبو جعفر، **الفوائد في الزّهد**، ضمن **كتاب الزّهد**، تحقيق أحمد فريد المزيديّ، بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٠، ٢٩٤-٣٠٧.

الذّهبيّ، **تاريخ الإسلام**، تحقيق بشّار عوّاد معروف، ١٨ جزءًا، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ٢٠٠٣.

ـــ ، **سير أعلام النّبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ٣٠ جزءًا، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ١٩٨٣.

الرّوذباري، أحمد بن عطاء، **أمالي**، ضمن Bernd Radtke، *Materialen zur alten islamischen Frömmigkeit*، ليدن: بريل، ٢٠٠٩.

السّلميّ، أبو عبد الرّحمن، **ذكر محن المشايخ الصّوفيّة**، ضمن **مسائل وتأويلات صوفيّة لأبي عبد الرحمن السّلميّ**، تحقيق بلال الأرفه لي وجرهارد بورينغ، بيروت: دار المشرق، ٢٠١٠.

ـــ ، **طبقات الصّوفيّة**، تحقيق نور الدّين شريبة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

الصّريفينيّ، إبراهيم بن محمّد، **المنتخب من كتاب السّياق لتاريخ نيسابور**، تحقيق محمّد كاظم محموديّ، طهران: مكتبة متحف ومركز وثائق مجلس الشّورى الإسلاميّ، ٢٠١٢.

الغزاليّ، **إحياء علوم الدّين**، جزءان، بيروت: دار المعرفة، لا تاريخ.

القشيريّ، أبو القاسم، **الرّسالة القشيريّة**، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشّريف، جزءان، القاهرة، دار المعارف، لا تاريخ.

المكّيّ، أبو طالب، **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، تحقيق عاصم إبراهيم الكيّالي، جزءان، بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٥.

المراجع:

Abdel-Kader, Ali Hassan, *The Life, Personality and Writings of al-Junayd: A Study of a Third /Ninth Century Mystic*, London: Luzac, Gibb Memorial Trust, 1962.

Algar, H., Hadith iv, in Sufism, in: Ehsan Yarshater (ed.), *Encyclopaedia Iranica,* New York: Columbia University, online edition; University Center for Iranian Studies, 1996.

Arberry, Arthur J., *The Koran Interpreted*, London: Allen & Unwin, 1980.

—, *Pages from the* Kitāb al-Luma‘, London: Luzac, 1946.

Bowering, Gerhard and Bilal Orfali, *Sufi Inquiries and Interpretations of Abū ʿAbd al-Raḥmān al-Sulamī (d. 412 / 1021) and a Treatise of Traditions by Ismāʿīl b. Nujayd al-Naysābūrī (d. 366 /976-7)*, Beirut: Dar al-Machreq, 2010.

Brockelmann, Carl, *Geschichte der arabischen Litteratur (GAL)*, 2 vols., Leiden: Brill, 1943-9.
—, *Geschichte der arabischen Litteratur*, supplement (*GALS*), 3 vols., Leiden: Brill, 1937-42.

Brown, Jonathan, *The Canonization of al-Bukhārī and Muslim: The Formation and Function of the Sunnī Hadith Canon*, Leiden: Brill, 2007.

Bulliet, Richard W., *The Patricians of Nishapur: A Study in Medieval Islamic Social History*, Cambridge: Harvard University Press, 1972.

Daaif, Lahcen, Dévots et renoncants: L'autre catégorie de forgeurs de hadiths, in: *Arabica 57* (2010), 201-50.

Dickinson, Eerik, al-Bayhaqī, Abū Bakr, in: *Encyclopaedia of Islam Three*.

Ebstein, Michael, Ḏū l-Nūn al-Miṣrī and Early Islamic Mysticism, in: *Arabica* 61 (2014), 559-612.

Ephrat, Daphna, *Spiritual Wayfarers, Leaders in Piety: Sufis and the Dissemination of Islam in Medieval Palestine*, Cambridge MS: Harvard University Press, 2008.

Gacek, Adam, *Arabic Manuscripts: A Vademecum for Readers*, Leiden: Brill, 2009.

Gilliot, Claude, Sufyān al-Ṯawrī (m. 161/778): Quelques notes sur son mode d'enseignement et la transmission

de son savoir, in: M. A. Amir-Moezzi (ed.), *Islam: Identité et altérité, hommage à Guy Monnot, O.P.*, Turnhout: Brepols, 2013, 169-189.

Karamustafa, Ahmet, *Sufism: The Formative Period*, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2007.

Knysh, Alexander D., *Islamic Mysticism: A Short History*, Leiden: Brill, 2000.
—, (transl.), *Al-Qushayri's Epistle on Sufism*, Reading: Garnet, 2007.

Liebrenz, Boris, *Arabische, Persische und Türkische Handschriften in Leipzig: Geschichte ihrer Sammlung und Erschließung von den Anfängen bis zu Karl Vollers*, Leipzig: Leipziger Universitätsverlag, 2008.

Makdisi, George, *The Rise of Colleges: Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1981.

Meier, Fritz, Sufik und Kulturzerfall, in: G. E. von Grunebaum and W. Hartner (eds.), *Klassizismus und Kulturverfall*, Frankfurt am Main: Vittorio Klostermann, 1960, 144-80.

Melchert, Christopher, The Piety of the Hadith Folk, in: *International Journal of Middle East Studies* 34/3 (2002), 425-39.

Mourad, Suleiman Ali, *Early Islam between Myth and History: Al-Ḥasan al-Baṣrī (d.110H /728CE) and the Formation of His Legacy in Classical Islamic Scholarship*, Leiden: Brill, 2006.

Nawas, John Abdallah, *Al-Ma'mūn, the Inquisition, and the Quest for Caliphal Authority*, Atlanta GA: Lockwood Press, 2015.

Pakatchi, Ahmad, and M. I. Waley, al-Bayhaqī, Abū Bakr, in: Wilferd Madelung and Farhad Daftary (eds.), *Encyclopaedia Islamica*, 16 vols., Leiden: Brill, 2008-, online.

Robson, J., al-Ḥākim al-Naysābūrī, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, 13 vols., Leiden: Brill, 1954-2005, II, 82.

—, al-Bayhaqī, Abū Bakr Aḥmad b. al-Ḥusayn, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, 13 vols., Leiden: Brill, 1954-2005, I, 1130.

Schacht, J., Ahl al-Ḥadīth, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, 13 vols., Leiden: Brill, 1954-2005, I, 259-260.

Sezgin, Fuat, *Geschichte des arabischen Schrifttums (GAS), Band I: Qur'ānwissenschaften, ḥadīt, Geschichte, Fiqh, Dogmatik, Mystik. Bis ca. 430 H*, Leiden: Brill, 1996.

Sobieroj, Florian, The Mu'tazila and Sufism, in: Frederick De Jong and Bernd Radtke (eds.), *Islamic Mysticism Contested: Thirteen Centuries of Controversies and Polemics*, Leiden: Brill, 1999, 68-92.

—, *Die Responsensammlung Abū l-Qāsim al-Qušairī's über das Sufitum: Kritische Edition* der 'Uyūn al-aǧwiba fī funūn al-as'ila, Wiesbaden: Harrassowitz, 2012.

Thibon, Jean-Jacques, *L'œuvre d'Abū 'Abd al-Raḥman al-Sulamī (325/937-412/1021) et la formation du soufisme,* Damascus: Institut francais du Proche-Orient, 2009.

Twinch, Cecilia, Created for Compassion: Ibn 'Arabī's work on Dhū-l-Nūn the Egyptian, http://www.ibnarabi-society.org/articles/created-for-compassion.html.

Vollers, Karl, *Katalog der Handschriften der Universitäts-Bibliothek zu Leipzig, II, Die islamischen, christlich-orientalischen, jüdischen und samaritanischen Handschriften*, Leipzig: Hassorrowitz, 1906.

فهرس المحتويات

المقدّمة: الحديث والتّصوّف ٥
مخطوط فولرز ٨
ذو النّون المصريّ ١١
بنية المخطوط ومضمونه ١٣
الإسناد ١٣
اللقاء ١٥
أقوالٌ متفرّقة لذي النّون المصريّ ٢٥
موثوقيّة النّصّ وتأريخه ٢٦
نيسابور، مطلع القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ٣٠
القرن السّادس للهجرة/ الثّاني عشر للميلاد ٣١
ملاحظات تقنيّة حول طبعة النصّ العربيّة ٣٤
[يوسف بن أسباط] ٤١
[سفيان الثوريّ] ٤٤
[الحسن البصريّ] ٥١
[المسيّب بن واضح والعبّاس بن حمزة] ٥٥
[الحاكم النيسابوريّ] ٥٧

فهرس الآيات ٦١
فهرس الحديث ٦٢
فهرس الأعلام ٦٣
فهرس الأماكن ٦٥
فهرس الكتب ٦٦
قائمة المصادر والمراجع ٦٧

تصميم الغلاف : **صفاء الفطايري**
الطباعة : **المطبعة العربيَّة ش.م.ل.**

٦٩٤-٠,٥-١٥/٢/٢٠١٨